إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته

أحمد بن إبراهيم بن صالح الطويان

قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

• **الملخص:**

من مظاهر التصرف في العربية أن يُؤثَر الشيء على غيره، وقد أشار النحويون إلى هذا المظهر، ودرج في كثير من مسائلهم، كإيثار الرفع بالابتداء دون النصب على المصدر، وإيثار النصب مفعولاً معه دون العطف، وإيثار النصب مصدراً دون الرفع بالابتداء، وهذه الظواهر المختلفة يجمعها فكرة عامة، وهي إيثار الشيء على غيره.

وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

تناول الموضوع في التمهيد مفهوم إيثار الشيء على غيره، ومصطلحات الإيثار في كتب النحويين، ثم أشار إلى أبرز مواطن الإيثار عند النحويين.

وفي المبحث الأول أورد البحث ما أمكن الوقوف عليه من مظاهر إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته. وفي المبحث الثاني أشار البحث إلى مسوغات إيثار الشيء على غيره. وفي المبحث الثالث جاء موقف النحويين من إيثار الشيء على غيره. ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: الإيثار في النحو، مظاهر الإيثار، مسوغات الإيثار، موقف النحويين منه.

*****

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن اللغة العربية لغة فريدة من نوعها، سواء أكان ذلك من حيث ولادتها ونشأتها، أم من حيث أسسها وقواعدها، أم من حيث سماتها ومميزاتها، وبذلك فإنها لا تشبهها لغة من اللغات، فهي نسيج وحدها بينها جميعاً[1].

ولقد كان من أهم مميزات العربية: السعة والمرونة، فهي لغة السعة والثراء والمرونة، وهذا ظاهر في أعلى نصوصها الفصيحة والبليغة.

ثم إن من مظاهر التصرف في العربية أن يُؤثَر الشيء على غيره، وقد أشار النحويون إلى هذا المظهر، ودرج في كثير من مسائلهم، كإيثار الرفع بالابتداء دون النصب على المصدر، وإيثار النصب مفعولاً معه دون العطف، وإيثار النصب مصدراً دون الرفع بالابتداء، وإيثار التذكير على التأنيث، والتأنيث على التذكير، وإيثار الحمل على اللفظ، واللفظ على المعنى، وإيثار الجمع على المفرد، وإيثار الإعلال على التصحيح، وإيثار الوقف على الوصل، وهذه الظواهر المختلفة يجمعها فكرة عامة، وهي إيثار الشيء على غيره.

وهذا الموضوع يرِد أكثر ما يرِد في المواطن التي جاءت في ظاهرها مخالفة للأصل، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[2]؛ إذ لم ينصب الفعل المضارع (يعتذرون) بـ(أنْ) المضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بنفي، بل أوثر رفعه بالعطف على (يؤذن)[3].

وقد استثمر العلماء هذا المظهر في توجيه القرآن الكريم، وتخريج المشكل من قراءاته، وعمدوا إلى ترجيح أحد الاحتمالات أو نقضها.

(١) خصائص اللغة العربية، ص ٣٣.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ٣٦.

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء٣/ ٢٢٦، والبحر المحيط١٠/ ٣٧٩.

ويسعى البحث إلى تتبع المواضع المشكلة في القرآن الكريم وقراءاته، والنظر في توجيهاتها المختلفة، والوقوف على ما خُرِّج بإيثار الشيء على غيره، وبيان المسوغات التي أدت إلى الإيثار في القرآن الكريم وقراءاته.

وقد كُتِب في موضوع الإيثار دراسات، ومنها:

١- (تناسب رؤوس الآي وأثره النحوي والصرفي)، للدكتور سليمان النتيفي، وهو بحث منشور في العدد الثامن والثلاثين من مجلة العلوم العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام (١٤٣٧هـ)، تناول فيه الباحث قدراً من الآيات القرآنية التي حصل فيها إيثارٌ لمناسبة رؤوس الآي، ولم يتناول الآيات التي حصل فيها إيثارٌ في غير رؤوس الآي، فينحصر تلاقي بحثي بهذا البحث من حيث الظاهر في شيء واحد فقط، وهو إيثار الشيء على غيره لمناسبة رؤوس الآي، إضافة إلى أن الآيات القرآنية التي درستُها في هذا البحث - في معظمها - مختلفة عن الآيات المذكورة في هذه الدراسة.

٢- (ظاهرة العدول في الحركات الإعرابية دراسة تطبيقية- الربع الأول من القرآن الكريم- أنموذجاً)، لعيسى بلهادي، رسالة ماجستير في جامعة محمد بوضياف بالجزائر، عام١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، وهذا البحث جمع قدراً من الآيات القرآنية التي حصل فيها إيثارٌ في الإعراب، وإيثارٌ في العدد كإيثار التثنية على الإفراد، وإيثار الجمع على الإفراد، وإيثار الجمع على التثنية، وإيثارٌ في التذكير والتأنيث، وغير ذلك، وقد كانت الآيات القرآنية التي درستُها في هذا البحث - في معظمها- مختلفة عن الآيات المذكورة في هذه الدراسة، إضافة إلى أن هذه الدراسة لم تتناول الآيات التي حصل فيها إيثار في مسائل الصرف.

٣- (العدول النحوي في القرآن الكريم «إعجاز لغوي آخر»)، للدكتور عبد الله الشراعي، وهو بحث منشور في العدد الثاني من مجلة جامعة

الجزيرة، ٢٠١٨م، وهذا البحث تناول أيضاً عدداً من الآيات القرآنية التي حصل فيها عدول عن القواعد النحوية، وهي في معظمها مختلفة عن الآيات القرآنية التي درستُها هنا.

وهذه الدراسات التي كتبت في موضوع الإيثار علاقتها بموضوع البحث علاقة تنوع وترادف، ولا تتعارض مع هذه الدراسة؛ لاختلاف الأمثلة والنماذج التي تمثل المدونة.

وقد انتظم هذا العمل في خطَّة مكوَّنة من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وتفصيلها على النحو الآتي:

المقدمة.

التمهيد: تحدثت فيه عن:

١- مفهوم إيثار الشيء على غيره.

٢- مصطلحات الإيثار في كتب النحويين.

٣- أبرز مواطن الإيثار عند النحويين.

المبحث الأول: مظاهر إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته.

المبحث الثاني: مسوغات الإيثار عند النحويين.

المبحث الثالث: موقف النحويين من إيثار الشيء على غيره.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

وقد اتبعت في دراسة الموضوع المنهج الآتي:

١- أوردتُ في المبحث الأول ما أمكن الوقوف عليه من مظاهر إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته، وجعلتها تحت أبواب مختلفة.

٢- صنفتُ - في المبحث الأول - الآيات القرآنية التي وقفت عليها في الموضع

المناسب لها، ثم ناقشت المسألة، مع ذكر أقوال العلماء من النحويين والمفسرين في كثير من الأحيان.

٣- أشرتُ إلى مصطلحات إيثار الشيء على غيره، كالاختيار والعدول، واجتهدت في اختيار مسائل الدراسة بأن يُنَصَّ فيها – في الغالب - على لفظ (إيثار) ومشتقاته.

٤- كتبتُ مطالب المبحث الثاني والثالث اعتماداً على ملحوظات دونتها في أثناء دراستي لمسائل المبحث الأول.

وختاماً أسأل الله أن يغفر لي ولوالدي، وأن يتقبل هذا العمل، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

١- مفهوم إيثار الشيء على غيره:

الإيثار – في اللغة – مصدر آثر يؤثر إيثاراً[١]، بمعنى التقديم والاختيار والاختصاص[٢]، يقال: آثره إيثاراً إذا اختاره وفضله[٣]، ويقال: آثره على نفسه، والشيء بالشيء خصّه به وجعله يتبع أثره[٤].

وأما في الاصطلاح فيمكن تقريب مفهومه بأنه: تقديم الشيء على غيره في وجه من الوجوه، ليكون أولى منه.

٢- مصطلحات الإيثار في كتب النحويين:

بعد البحث في كتب النحويين عن مفردات الإيثار وجدتهم يستعملون في تقريرها المصطلحات الآتية:

- الاختيار:

أكثر المصطلحات دوراناً في حديث النحويين عن الإيثار هو مصطلح «الاختيار» ومشتقاته، فمن أمثلة ذلك: قول الزجاج عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾[٥]: «موضع (ما) رفع. المعنى: الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيهن. ويجوز أن يكون (ما) في موضع جر، وهو بعيد جداً؛ لأن الظاهر لا يعطف على المضمر، فلذلك اختير الرفع؛ ولأن معنى الرفع أبين»[٦].

(١) ينظر لسان العرب (أثر) ٤/ ٨، والمعجم الوسيط (باب الهمزة) ١/ ٥.
(٢) ينظر المعجم الوسيط (باب الهمزة) ١/ ٥.
(٣) ينظر جمهرة اللغة ٢/ ١٠٣٥، والمعجم الوسيط (باب الهمزة) ١/ ٥.
(٤) ينظر المعجم الوسيط (باب الهمزة) ١/ ٥.
(٥) سورة النساء، من الآية ١٢٧.
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١١٤.

وقول الزمخشري عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[1]: «فإن قلت: هل من فرق بين (يسبحن) و(مسبحات)؟ قلت: نعم وما اختير (يسبحن) على (مسبحات) إلا لذلك، وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال»[2].

ويقول أبو حيان عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[3]: «السلطان هنا القهر والقدرة ... فمن ذكَّر ذهب به إلى البرهان والاحتجاج، ومن أنَّث ذهب به إلى الحجة، وإنما اختير التذكير هنا في الصفة وإن كان التأنيث أكثر؛ لأنه وقع الوصف فاصلة، فهذا هو المرجح للتذكير على التأنيث»[4].

- **العدول:**

يلي مصطلح «الاختيار» مصطلح «العدول» ومشتقاته، في كثرة استعماله حين الحديث عن الإيثار، ويرد في أحاديثهم تارة مقروناً بـ«الإيثار»، وتارة يرد وحده غير مقرون بـ«الإيثار»، فمن أمثلة الأول قول ابن مالك: «ومثل إيثار (قروء) على (أقراء) لخروجه عن القياس **إيثار** (شهداء) على (أشهاد) في: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾[5]؛ لأن واحد (شهداء) إما (شهيد) وإما (شاهد)، ولكل واحد منهما نصيب في (أفعال) كـ (شريف وأشراف)، و(صاحب وأصحاب)، **فعُدِل** (شهيد) عن (أفعال) إلى (فُعَلاء) كما **عدل** عن (أقراء) إلى (قروء)»[6].

ومن أمثلة الثاني قول الشيخ خالد الأزهري: «فأصل: (جاء القوم أُحاد): (جاءوا واحداً واحداً)، **فعدل** عن (واحداً واحداً) إلى (أُحاد) تخفيفاً للفظ»[7].

---

(١) سورة ص، الآية ١٨.

(٢) الكشاف٩٢١.

(٣) سورة النساء، من الآية ١٤٤.

(٤) البحر المحيط ٤/ ١١٢.

(٥) سورة النور، من الآية ١٣

(٦) شرح التسهيل٢/ ٣٩٦، ٣٩٧.

(٧) شرح التصريح٢/ ٣٢٦.

- وضع الشيء موضع غيره:

يستعمل النحويون لفظاً ثالثاً حين الحديث عن الإيثار، وهو لفظ «**الوضع**»، فمن ذلك قول الزمخشري حين حديثه عن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1]: «(وهو كره لكم) من الكراهة، بدليل قوله: (وعسى أن تكرهوا شيئاً)، ثم إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ...»[2].

ويقول أبو حيان حين حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[3]: «ولم يأتِ (ثلاثة أقراء) من باب التوسع في وضع أحد الجمعين مكان الآخر ... وقيل: وُضِع بمعنى الكثرة؛ لأن كل مطلقة تتربص ثلاثة قروء...»[4].

هذه هي المصطلحات التي جرى عليها النحويون حين الحديث عن الإيثار ومشتقاته، ويبقى أن أشير إلى أني اجتهدت في أغلب مسائل الدراسة بأن ينصَّ فيها على لفظ (إيثار) ومشتقاته، فإذا وجدت – في مسألة من مسائل الدراسة – نصين أحدهما يعبر فيه بالاختيار أو العدول، والآخر يعبر فيه بالإيثار، فإني أنقل – في الغالب – النص الذي يعبر فيه بالإيثار.

٣- أبرز مواطن الإيثار عند النحويين:

ذكرت في مقدمة هذا البحث أن من مظاهر التصرُّف في العربية أن يؤثَر الشيء على غيره، وأن من النحويين مَنْ يعمد إلى (الإيثار) ومشتقاته في التعبير عن مسائله، ومن خلال تتبع موارد هذا الموضوع عند النحويين يتجلى أن أبرز المواطن التي يركن إليه فيها ما يأتي:

(١) سورة البقرة، من الآية ٢١٦.
(٢) الكشاف، ص١٢٦.
(٣) سورة البقرة، من الآية٢٢٨.
(٤) البحر المحيط٢/ ٤٥٦.

- **في وضع العناوين**: ومن ذلك أن للاسم الواقع بعد الواو حالات: منها: **إيثار** النصب مفعولاً معه، نحو قول الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال[1]

فنصب (وبني) على أنه مفعول معه، ولم يرفعه على العطف[2]. جاء في شرح أبيات الكتاب للسيرافي: (هذا باب **إيثار** النصب مفعولاً معه دون العطف للمعنى)[3].

كما جعل السيرافي باباً آخر بعنوان: (**إيثار** النصب بإضمار فعل إغناء للمعنى)[4].

- **في صون القاعدة**: ومنه **إيثار** الواو دون الياء في (حيزبون) ونحوه، فإن تكسيره على (حزابين)، قال المرادي: «ما يجب **إيثاره** بالبقاء واو (حيزبون) و(عيطموس) ونحوهما، فإن تكسيرهما (حزابين) و(عطاميس)، حذفت الياء وأبقيت الواو....»[5].

وقال المكودي: «يجب **إيثار** بقاء الواو في (حيزبون) وشبهه كـ(عيطموس) مما قبل آخره واو، فتقول في جمعهما (حزابين) و(عطاميس) بحذف الياء وبقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها، كما فعلت في (عصفور) حين قلت: (عصافير)...»[6].

- **في بيان الأغراض**: ومن ذلك أن هناك أغراضاً يحذف فيها الفاعل، منها: ما ذكره ابن الخباز بقوله: «الأصل في المجيء بهذا المفعول الاختصار.. وتناط بذلك أغراض أُخَر ... ومنها: **إيثار** غرض المتكلم؛ لأنه ربما لم يشتهِ ذكر الفاعل إما حباً له وإما بُغْضاً»[7].

(١) البيت بلا نسبة في الكتاب١/ ٢٩٨، وشرح أبيات الكتاب١/ ٢٨٥، وشرح التسهيل٢/ ٢٦٠، والتذييل٨/ ١٠١، وتمهيد القواعد٤/ ٢٠٧٩.
(٢) ينظر الكتاب١/ ٢٩٨.
(٣) ينظر شرح أبيات الكتاب١/ ٢٨٥.
(٤) ينظر المصدر السابق١/ ٣٠٦.
(٥) توضيح المقاصد٣/ ١٤١٣.
(٦) شرح المكودي٣٣٦.
(٧) توجيه اللمع١٢٧.

- **في أساليب المحاورة**: وذلك بالسؤال عماً يشكل، ومن أمثلته قول ابن مالك: «فإن قيل ما تجنبتموه من عدم النظير بتقدير أصالة نوني (كَنَهْبُل وهُنْدَلِع) لازم بتقدير زيادتهما فلِم **أوثر** الحكم بالزيادة على الحكم بالأصالة؟ فالجواب ...»[1].

- **في توضيح الروايات**: ومن ذلك أن الأشموني روى التاء في (فعلتَ) من قول ابن مالك في ألفيته:

بتا فعلتَ وأتت يا افعلي ونون أقبلنّ فعل ينجلي[2]

بالضم، فقال الصبان موضحاً عبارة الأشموني: «قوله: نحو إلخ يقتضي ضم التاء في عبارة المصنف مع أن الرواية الفتح، ولعله آثر الأعرف وهو ضمير المتكلم، والأشرف وهو الضم..»[3].

- **في توضيح المصطلحات**: ومن ذلك أن ابن مالك أطلق على الباء التي يسميها النحويون باء الاستعانة[4] باء السببية، نحو: كتبت بالقلم[5]، فقال الشاطبي: «واعتذر عن **إيثار** هذا الإطلاق الذي اُصطُلِح عليه من أجل الأفعال المنسوبة إلى الله عز وجل، فإن استعمال السببية فيها يجوز، واستعمال الاستعانة فيها لا يجوز، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[6]...»[7].

(١) إيجاز التعريف في علم التصريف١٠٤.
(٢) ألفية ابن مالك٩.
(٣) حاشية الصبان١/ ٥٩.
(٤) ينظر المقتضب١/ ٣٩، والمفصل٣٨١، وشرح الرضي على الكافية٤/ ٢٨٠.
(٥) ينظر شرح التسهيل٣/ ١٥٠.
(٦) سورة البقرة، من الآية٢٢.
(٧) المقاصد الشافية٣/ ٦٢٦،٦٢٥.

المبحث الأول:

مظاهر إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته:

في هذا المبحث أورد ما أمكن الوقوف عليه من مظاهر إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته، جعلتها تحت أبواب مختلفة، وقد توخيت الإيجاز في مناقشتها حتى لا يخرج البحث عن موضوعه، وراعيت التنوع في مسائلها.

المعرب والمبني:

- **إيثار الفتح في (ن) من قوله تعالى ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١):**

- قُرِئ قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ بفتح (ن) فقيل: (نَ والقلم)(٢)، وخُرِّجت هذه القراءة على أوجه منها:

الأول: أن يكون الفتح بناءً، وأُوثر على الأصل للخفة كـ(أينَ)، و(كيفَ)(٣).

الثاني: أن يكون لالتقاء الساكنين، وأوثر الفتح تخفيفاً، كـ(أينَ)، و(كيفَ)(٤).

الثالث: أن يكون (ن) منصوباً بفعل محذوف، تقديره: (اقرؤوا)(٥).

الرابع: أن يكون مجروراً بحرف القسم المقدَّر، وهو على هذا الوجه والذي قبله غير منصرف للعلمية والتأنيث(٦).

ولعل أقرب الأقوال هو أن يكون الفتح للبناء أو لالتقاء الساكنين؛ لأنه على الوجهين الآخرين يكون معمولاً لمضمر، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير.

---

(١) سورة القلم، الآية ١.

(٢) هي قراءة سعيد بن جبير، وعيسى بن عمر بخلاف عنه. ينظر مختصر في شواذ القرآن ١٦٠، والبحر المحيط ١٠/ ٢٣٥، واللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٦٤.

(٣) ينظر الدر المصون ٩/ ٢٤٤، ١٠/ ٣٩٨، واللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٦٤.

(٤) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٢٣٥.

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٢٣، وفتوح الغيب ١٥/ ٥٦٥، والدر المصون ١٠/ ٣٩٨.

(٦) ينظر الدر المصون ٩/ ٢٤٤، و١٠/ ٣٩٨.

الموصول:

- **إيثار (ما) على (مَنْ):**

- في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾[1] قال ابن عاشور: «وعموم الموصول في قوله: (وما يعبدون) شامل لأصناف المعبودات التي عبدوها، ولذلك أوثرت (ما) الموصولة؛ لأنها تصدق على العقلاء وغيرهم على أن التغليب هنا لغير العقلاء»[2].

وقيل أوثرت (ما) على (مَنْ) تنبيهاً على أن من يعبد من لا يعقل من المعبودات أكثر ممن يعبد من يعقل منها، فأوثرت (ما) اعتباراً بكثرة من يعبد من لا يعقل[3].

وقيل: لأنه أريد به الوصف لا الذات، كأنه قيل: ومعبودَهم[4]. وقيل: إن المراد هو الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم ممن يعقل[5]، «ويتأكد هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[6]»[7].

ويشكل على هذا أن (ما) لا تستعمل في العقلاء، وأجيب بأن (ما) قد تستعمل لما يعقل بدليل أن (مَن) قد تستعمل لما لا يعقل[8].

(١) سورة الفرقان، الآية ١٧

(٢) التحرير والتنوير١٨/ ٣٣٧.

(٣) ينظر إرشاد العقل السليم ٦/ ٢٠٨.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب٢٤/ ٤٤٢، وإرشاد العقل السليم ٦/ ٢٠٨.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٣، ٢٠٤، ومفاتيح الغيب ٢٤/ ٤٤٢، وإرشاد العقل السليم ٦/ ٢٠٨.

(٦) سورة سبأ، الآية ٤٠.

(٧) مفاتيح الغيب٢٤/ ٤٤٢.

(٨) ينظر مفاتيح الغيب٢٤/ ٤٤٢.

ويترجح عندي أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّ﴾[1] يشمل العقلاء وغيرهم من المعبودات التي عبدوها، وإنما أوثرت (ما) الموصولة اعتباراً بكثرة من يعبد من لا يعقل من المعبودات[2].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾[3] أوثرت (ما) على (من)[4]، قال الزمخشري: «جعلت (ما) مصدرية في قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾.. وليس بالوجه لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾[5]، وما يؤدي إليه من فساد النظم، والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على (مَنْ) لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها..»[6].

وخالفه أبو حيان بأنه لا يراد بـ(ما) ولا (مَنْ) الموصولتين معنى الوصفية؛ لأنهما لا يوصف بهما بخلاف (الذي)، فاشتراكهما في أنهما لا يؤديان معنى الوصفية موجود فيهما، فلا ينفرد به (ما) دون (من)[7].

ويبدو أنه ليس مراد الزمخشري أنها توصف به وصفاً صريحاً، بل مراده أنها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته، ولذلك مثّل النحويون ذلك بقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[8]، وقالوا: تقديره: فانكحوا الطيب من النساء، ولا شك أن هذا الحكم تنفرد به (ما) دون (من)[9].

(١) سورة الفرقان، الآية ١٧.
(٢) ينظر إرشاد العقل السليم٦/ ٢٠٨.
(٣) سورة الشمس، الآية ٥.
(٤) ينظر الكشاف١٢٠٥، ومفاتيح الغيب٣١/ ١٧٦، وأنوار التنزيل ٥/ ٣١٥، والبحر المحيط١٠/ ٤٨٧، والدر المصون١١/ ٢٠.
(٥) سورة الشمس، من الآية ٨.
(٦) الكشاف ١٢٠٥.
(٧) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٤٨٧، والدر المصون ١١/ ٢٠.
(٨) سورة النساء، من الآية ٣.
(٩) ينظر الدر المصون ١١/ ٢٠.

- المبتدأ والخبر:

- **إيثار الرفع بالابتداء دون النصب على المصدرية في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**[1].

- **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قُرِئ (الحمدُ) بالرفع[2] على الابتداء[3]، والخبر الجار والمجرور (لله)[4].

وقُرِئ شاذّاً بنصب الدال من (الحمد)[5]، وفيه وجهان: **أحدهما**: أنه مصدر، ثم حذف العامل، والتقدير: أحمد الله حمداً[6]، فهو مصدر ناب عن جملة خبرية[7].

والثاني: أنه مفعول به، أي: اقرؤوا الحمدَ أو اتلوا الحمدَ[8].

قال أبو السعود: «إيثار الرفع على النصب الذي هو الأصل؛ للإيذان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته.. وأن ذلك أمر دائم مستمر، لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب..»[9].

وقراءة الرفع أولى، لما يأتي:

١- أن السنة تتبع القرآن ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة، والرفع القراءة[10]، ويجوز في

(١) سورة الفاتحة، من الآية ٢.

(٢) هي قراءة إبراهيم بن أبي عبلة. ينظر مختصر في شواذ القرآن ٩، وفي المحتسب ١/ ٣٧، هي قراءة أهل البادية، وإبراهيم بن أبي عبلة.

(٣) ينظر معاني القرآن وإعرابه١/ ٤٥، والكشاف٢٧، والدر المصون ١/ ٣٨.

(٤) ينظر معاني القرآن وإعرابه١/ ٤٥، والجامع لأحكام القرآن ١/ ١٣٥، والدر المصون ١/ ٣٨.

(٥) هي قراءة سفيان بن عيينة ورؤبة العجاج. ينظر إعراب القرآن للنحاس١/ ١٧، ومختصر في شواذ القرآن٩، وإعراب القراءات الشواذ١/ ٨٧. وفي النشر١/ ٤٨ عن زيد بن علي، وهارون العتكيّ، ورؤبة العجاج.

(٦) ينظر الكتاب١/ ٣١٩، والبحر المحيط١/ ٣٤، والدر المصون ١/ ٤٠.

(٧) ينظر الدر المصون١/ ٤٠.

(٨) ينظر إعراب القراءات الشواذ١/ ٨٧، والبحر المحيط١/ ٣٤، والدر المصون ١/ ٤٠.

(٩) إرشاد العقل السليم ١/ ١٣.

(١٠) ينظر معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٥.

الكلام قول: (الحمدَ لله)، أي: أحمد الله الحمدَ[1]، ثم حذف الفعل؛ لأن حال الحمد يجب أن يكون عليها الخلق[2].

٢- أن قوله تعالى: (الحمد لله) إخبار عن كون الحمد حقّاً له ومِلكاً له، وهذا كلام تام في نفسه فلا حاجة إلى الإضمار.

٣- أن قوله: (الحمد لله) يدل على كونه مستحقّاً الحمد بذاته سواء حمِدوه أم لم يحمدوه؛ لأن ما بالذات أعلى وأجلى مما بالغير[3].

- **تقديم المبتدأ على الخبر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[4]:**

- قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أي: حدٌّ معين لبعثكم جميعاً، وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة، وقد أوثر تقديمه على الخبر، مع أن الشائع المستفيض هو التأخير كما في نحو: (عندي كلام حقٌّ، ولي كتاب نفيس)، قال الزمخشري: «فإن قلت: الكلام السائر أن يقال: عندي ثوب جيد، ولي عبد كيِّس وما أشبه ذلك، فما أوجب التقديم؟ قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده تعظيماً لشأن الساعة، فلما جرى فيه هذه المعنى وجب التقديم»[5].

وردّ أبو حيان قول الزمخشري هذا بأنه إذا كان التقدير: وأيّ أجل مسمى عنده، كانت (أيّ) صفة لموصوف محذوف تقديره: وأجلٌ أيُّ أجلٍ مسمى عنده، ولا يجوز حذف الصفة إذا كانت (أيّاً)، ولا حذف موصوفها وإبقاؤها. فلو قلت: «مررت بأيّ رجل» تريد: (مررت برجلٍ أيِّ رجل) لم يجز[6].

---

(١) ينظر الكتاب١/ ٣١٩، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٥، والدر المصون ١/ ٤٠.
(٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه١/ ٤٥.
(٣) ينظر مفاتيح الغيب١/ ١٩٦.
(٤) سورة الأنعام، من الآية٢
(٥) الكشاف٣١٩.
(٦) ينظر البحر المحيط٤/ ٤٣٣

ويبدو لي أن هذا تفسير معنى بلفظ، فهو لم يدّع أن ذلك اللفظ هو أصل الكلام المفسر، بل قال: معناه كيت وكيت، فكيف يلزمه أن يكون ذلك الكلام الذي فسّر به هو أصل ذلك المفسَّر؟ على أنه قد ورد حذف موصوف (أي) وإبقاؤها[1] كقول الفرزدق:

إذا حارب الحجّاج أيَّ منافق علاه بسيفٍ كلما هُزَّ يَقطع[2]

وقيل إن التعظيم لا يوجب التقديم، وقد جاء في القرآن: ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[3].

وأجيب بأن المقام في هذه الآية يقتضي الاختصاص والحصر لا التعظيم، أي: عنده علم الساعة لا عند غيره، وبأن التقديم في تلك الآية للفرق بين الأجلين[4].

- إيثار الرفع بالابتداء دون النصب على المصدرية في (طوبى) من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[5].

أجاز العلماء في (طوبى) من هذه الآية وجهين:

الأول: أن يكون (طوبى) في موضع رفع مبتدأ، و(لهم) خبر[6]، ويجوز أن يكون (طوبى) خبراً، والمبتدأ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)[7]، أو يكون خبراً لمبتدأ محذوف، و(الذين آمنوا) في محل نصب على المدح[8] قال

(١) ينظر الدر المصون٤/ ٥٢٧، ٥٢٨.

(٢) ديوانه١/ ٤١٧، وشرح التسهيل١/ ٢٢١، والبحر المحيط٢/ ٦٨٥، والتذييل٣/ ١٤١، والدر المصون٤/ ٥٢٨، والمقاصد الشافية٤/ ١١٦.

(٣) سورة الزخرف، من الآية٨٥

(٤) ينظر فتوح الغيب٦/ ١٨.

(٥) سورة الرعد، الآية ٢٩.

(٦) ينظر المحرر الوجيز٣/ ٣١١، والبحر المحيط ٦/ ٣٨٦.

(٧) ينظر المحرر الوجيز٣/ ٣١١.

(٨) ينظر فتح القدير٧٣٠.

سيبويه: «ومثل الرفع (طوبى لهم وحسن مآب)، يدلك على رفعها رفع (حسنُ مآب)»[1].

الثاني: أن يكون (طوبى) في موضع النصب على المصدرية، كما قالوا: سقياً لك، وطيباً لك[2]، ويجوز أن يكون في موضع النصب على تقدير فعل، أي: جعل لهم طوبى[3]، أو على النداء، أي: يا طوبى لهم ويا حسن مآب[4].

قال الزمخشري: «وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى، ومعنى طوبى لك: أصبت خيراً وطيباً، ومحلها النصب أو الرفع، كقولك: طيباً لك وطيبٌ لك، وسلاماً لك وسلامٌ لك، والقراءة في قوله: (وحسن مآب) بالرفع والنصب[5] تدلك على محليها»[6].

وقال الطبري: «وإنما أوثر الرفع في (طوبى) لحسن الإضافة فيه بغير لام، وذلك أنه يقال فيه: (طوباك) كما يقال: (ويلك وويبك)، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام لكان النصب فيه أحسن وأفصح، كما النصب في قولهم: (تعساً لزيد وبُعداً له وسُحقاً) أحسن؛ إذ كانت الإضافة فيها بغير لام لا تحسن»[7].

(١) الكتاب ١/ ٣٣١.

(٢) ينظر معاني القرآن للأخفش٢/ ٤٠٥، والمحرر الوجيز٣/ ٣١١، والبحر المحيط٦/ ٣٨٦، والدر المصون٧/ ٤٧، ٤٨.

(٣) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن٣١٦، والدر المصون ٧/ ٤٨.

(٤) ينظر البحر المحيط ٦/ ٣٨٦، والدر المصون٧/ ٤٨.

(٥) قرأ الجمهور (وحسنُ مآب) برفع النون، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة وعيسى الثقفي (وحسنَ) بنصب النون. ينظر إملاء ما منّ به الرحمن٢/ ٦٤، والبحر المحيط ٦/ ٣٨٦، والدر المصون ٧/ ٤٧، ٤٨، والكامل في القراءات العشر٥٧٩.

(٦) الكشاف٥٤٠.

(٧) جامع البيان١٦/ ٤٣٤.

وقد أوجب ابن مالك رفع (طوبى) بالابتداء، ورُدَّ عليه بأن بعضهم جعلها منصوبة بإضمار فعل، أي: وجعل لهم طوبى، «ويتأيد ذلك بقراءة عيسى الثقفي: (وحسنَ مآب) بنصب النون، قال: إنه معطوف على (طوبى) وإنها في موضع نصب»[1].

- **إيثار الرفع بالابتداء دون النصب على العطف في (رضوان) من قوله تعالى:** ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

(رضوان) من قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ رفع بالابتداء[4]، وجاز الابتداء به؛ لأنه موصوف بقوله: (من الله)[5]، وهو مما وعد الله تعالى المؤمنين والمؤمنات، ولم يعطف به على (الجنات)، (والمساكن الطيبة)؛ ليُعلم بذلك تفضيل الله رضوانَه عن المؤمنين والمؤمنات على سائر ما قسم الله لهم من فضله وأعطاهم من كرامته[6]، قال الفراء: «قوله تعالى: (ورضوان من الله أكبر) رفع بالأكبر، وعُدِل عن أن ينسق على ما قبله وهو مما قد وعدهم الله تبارك وتعالى، ولكنه أوثر بالرفع لتفضيله كما تقول في الكلام: قد وصلتك بالدراهم والثياب وحسنُ رأيي خير لك من ذلك»[7].

وأجاز النحاس نصب (رضوان) في غير القرآن؛ لأن هذا مما وعدوا به[8].

---

(١) الدر المصون٧/ ٤٧.

(٢) سورة التوبة، من الآية ٧٢

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٢

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٢٨، وجامع البيان ١٤/ ٣٥٧، والبحر المحيط ٥/ ٤٦١.

(٥) ينظر البحر المحيط ٥/ ٤٦١.

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٦، وجامع البيان ١٤/ ٣٥٧ .

(٧) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٤٦.

(٨) ينظر إعراب القرآن ٢/ ١٢٨.

- المفعول به:

- إيثار النصب على المفعولية في (خيراً) من قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا﴾[1]:

- قُرِئ (خيراً) من هذه الآية بوجهين:

الأول: (خيراً) بالنصب[2]، فـ(ماذا) اسم واحد مركب للاستفهام بمعنى: أيَّ شيء؟ محله النصب بـ(أنزل)، و(خيراً) مفعول به لفعل محذوف[3].

الثاني: (خيرٌ) بالرفع[4]، فـ(ما) اسم استفهام، و(ذا) اسم موصول بمعنى (الذي) أي: أي شيء الذي أنزله ربكم[5]، و(خيرٌ) خبر مبتدأ محذوف، أي: المنزَّل خيرٌ[6].

وقد أوثرت القراءة الأولى؛ لأن النصب تصريح بكون (أنزل) مقدَّراً[7]؛ ذلك أن المؤمنين لم يتلعثموا في الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالإنزال، على خلاف الكفار الذين لا يُقرّون بالإنزال، حيث عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطيرُ الأولين، وليس من الإنزال في شيء[8]. والرفع يحتمل استئناف الكلام، ويحتمل تقدير (ما) الموصولة في السؤال مبتدأ[9].

(١) سورة النحل، من الآية ٣٠

(٢) هي قراءة الجمهور. ينظر البحر المحيط ٦/ ٥٢٥، والنشر ٢/ ١٦٠.

(٣) ينظر الكتاب ٢/ ٤١٧، والتعليقة على كتاب سيبويه ٢/ ١١٨، وشرح المفصل ٢/ ٣٨٧، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٠٠، وروح المعاني ١٤/ ١٣٠.

(٤) هي قراءة زيد بن علي. ينظر البحر المحيط ٦/ ٥٢٥.

(٥) ينظر شرح الرضي على الكافية ٣/ ٦٦، وروح المعاني ١٤/ ١٣٠.

(٦) ينظر البحر المحيط ٦/ ٥٢٥، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/ ١٠٣.

(٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٠٠، وشرح الرضي على الكافية ٣/ ٦٦، وروح المعاني ١٤/ ١٣٠.

(٨) ينظر شرح الرضي على الكافية ٣/ ٦٦، والبحر المحيط ٦/ ٥٢٥، وروح المعاني ١٤/ ١٣٠.

(٩) ينظر شرح الرضي على الكافية ٣/ ٦٦.

- **إيثار النصب على المفعولية دون الرفع على الابتداء في (كلّ) من قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**[1]:

- قُرِئ (كلّ) من هذه الآية بوجهين[2]:

الأول: النصب (إنّا كلَّ شيء)، والمعنى: خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدر[3].

الثاني: الرفع (إنّا كلُّ شيء) بالرفع على الابتداء[4]، و(خلقناه) خبره[5]، ويحتمل أن يكون (خلقناه) صفةلـ (كل)[6]، أو لـ (شيء)[7]، و(بقدر) الخبر[8].

وقد أوثرت قراءة النصب على قراءة الرفع في هذه الآية؛ لأن النصب يدل على عموم الخَلْق لله تعالى - إلا ما قام الدليل على أنه ليس بمخلوق كالقرآن الكريم والصفات الكريمة - والرفع لا يدل على ذلك[9]، بل الرفع يلزم أن يكون الشيء الذي ليس مخلوقاً لله تعالى لا بقَدَر[10]، وإنما دلّ النصب في (كل) على العموم؛ لأن التقدير: إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقَدَر[11]، فـ (خلقناه) تأكيد وتفسير لـ (خلقنا) المقدر الناصب لـ (كل)[12]. وإذا حذفته وأظهرت الأول

(١) سورة القمر، الآية ٤٩

(٢) قرأ أبو السمّال (إنّا كلُّ) بالرفع، وقرأ الجمهور (إنّا كلَّ) بالنصب. ينظر المحتسب٢/ ٣٠٠، والمحرر الوجيز٥/ ٢٢١، والكامل في القراءات العشر ٦٤٢، ٦٤٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز٥/ ٢٢١، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٤٧، والبحر المحيط١٠/ ٤٨، والدر المصون١٠/ ١٤٦، ١٤٧.

(٤) ينظر المحرر الوجيز٥/ ٢٢١، والبحر المحيط١٠/ ٤٨.

(٥) ينظر المحرر الوجيز٥/ ٢٢١، وارتشاف الضرب ٤/ ٢١٦٩، والتصريح ١/ ٤٥١.

(٦) ينظر الدر المصون١٠/ ١٤٦.

(٧) ينظر الدر المصون١٠/ ١٤٦، وشرح التصريح ١/ ٤٥١.

(٨) ينظر المصدران السابقان.

(٩) ينظر المحرر الوجيز٥/ ٢٢١، والدر المصون ١٠/ ١٤٧، ١٤٦.

(١٠) ينظر الدر المصون١٠/ ١٤٦.

(١١) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٧/ ١٤٧، والدر المصون١٠/ ١٤٦، ١٤٧.

(١٢) ينظر الدر المصون١٠/ ١٤٧.

صار التقدير: إنّا خلقناه كلَّ شيء بقدر، فهذا لفظ عام يعم جميع المخلوقات، ولا يجوز أن يكون صفة لـ (شيء)؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا تكون تفسيراً لما يعمل فيما قبله[1]، فدلّ ذلك على أن (خلقناه) تأكيد وتفسير لـ (خلقنا) المقدر الناصب، وذلك يدل على العموم[2].

- **إيثار تقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[3]:**

- في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا قيل: مخلف رسله وعده؟ ولِمَ قُدِّم المفعول الثاني على الأول؟ قلت: قُدِّم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[4] ثم قال (رسله) ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً – وليس من شأنه إخلاف المواعيد – كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته؟»[5].

وقد ردَّ أبو حيان قول الزمخشري بقوله: «وهو جواب على طريقة الاعتزال في أن وعد الله واقع لا محالة، فمن وعده بالنار من العصاة لا يجوز أن يغفر له أصلاً، ومذهب أهل السنة أن كل ما وعد من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروط إنفاذه بالمشيئة»[6].

ورُدَّ قول الزمخشري أيضاً بأن الفعل إذا تقيد بمفعول انقطع إطلاقه، فليس تقديم الوعد في الآية دالًّا على إطلاق الفعل باعتبار الموعود، حتى يكون

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٤٧، وشرح التسهيل ٢/ ١٤٣، والدر المصون ١٠/ ١٤٧.
(٢) ينظر الدر المصون ١٠/ ١٤٧.
(٣) سورة إبراهيم، من الآية ٤٧.
(٤) سورة آل عمران، من الآية ٩
(٥) الكشاف ٥٥٦.
(٦) البحر المحيط ٦/ ٤٥٦.

ذكر (الرسل) ثانياً كالأجنبي من الإطلاق الأول، فلا فرق بين تقديم الوعد وتأخيره، إلا الإيذان بالعناية في مقصود المتكلم؛ لأن هذه الآية وردت في الإنذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل، فالمهم في التهديد ذكر الوعيد، وأما كونه على ألسنة الرسل فلا يقف التخويف عليه[1].

وأجيب عن هذا الرد بما ذكره سيبويه من أنهم يقدمون الأهم وما هم ببيانه أعنى[2]، فإذا قدم المفعول الثاني على الأول وقع الكلام فيه أصالة، ويكون المفعول الأول تبعاً له، لا أن الفعل يكون تبعاً له كما تُوُهم[3].

وقال القاسمي: «وإنما أوثر تقديم المفعول الثاني أعني (وعده) على الأول (رسله) للإيذان بالعناية به»[4].

ويبدو لي أن (مخلفَ) هنا متعدٍ لمفعول واحد، وهو (وعده)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[5] فأُضيف إليه، ونُصب (رسلَه) بـ (وعده)؛ إذ هو مصدر ينحلُّ بحرف مصدري والفعل، كأنه قال: مخلف ما وعد رسلَه، و(ما) مصدرية لا بمعنى (الذي)[6].

الحال:

- **إيثار (يسبحْنَ) على (مسبِّحات) في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾[8]:**

(١) ينظر فتوح الغيب٨/ ٦٣٣، ٦٣٤.
(٢) ينظر الكتاب١/ ٣٤.
(٣) ينظر فتوح الغيب٨/ ٦٣٤، ٦٣٥.
(٤) محاسن التأويل٦/ ٣٢٣.
(٥) سورة آل عمران، من الآية ٩.
(٦) ينظر البحر المحيط٦/ ٤٥٦، والدر المصون٧/ ١٢٩.
(٧) سورة الأنبياء، من الآية٧٩
(٨) سورة ص، الآيتان١٨، ١٩.

- ذهب الزمخشري[1]، وأبو حيان[2] إلى أن جملة (يسبحن) من قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ جملة حالية من الجبال، أي: حال كونهن مسبحات[3]، وقيل: استئناف، «كأن قائلاً قال: كيف سخّرهن؟ فقال: يسبحن»[4]. والظاهر أن جملة (يسبحن) جملة حالية[5].

وقد أوثر (يسبحن) على (مسبّحات) في هذه الآية – وإن كان (مُسبّحات) مطابقاً لـ(محشورة)[6]؛ للدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء، واستحضار الحال العجيبة من نطق الجماد[7]؛ ولو قيل: (مسبّحات) – وإن كان الأصل في الحال أن تكون مفردة[8] – لم يدل على هذا ذلك، فإيثار المضارع هنا للدلالة على الحدوث والتجدد شيئاً فشيئاً.

حروف الجر:

إنابة حرف مكان آخر:

- الأصل في الفعل (سارع) أن يتعدى بـ(إلى)، يقال: سارع إلى الأمر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[9]. وقد جاء على خلاف

(١) ينظر الكشاف٦٨٤.
(٢) ينظر البحر المحيط٧/ ٤٥٥.
(٣) ينظر الكشاف٦٨٤، والبحر المحيط٧/ ٤٥٥، وروح المعاني٢٣/ ١٧٤، وفتوح الغيب ١٣/ ٢٤٩.
(٤) الكشاف٦٨٤.
(٥) ينظر البحر المحيط٧/ ٤٥٥.
(٦) ينظر محاسن التأويل٤/ ٤٣٩.
(٧) ينظر المصدر السابق، والكشاف٩٢١، وإرشاد العقل السليم٧/ ٢١٩، وروح المعاني٢٣/ ١٧٤، وحاشية الشهاب٧/ ٣٠٢.
(٨) ينظر روح المعاني٢٣/ ١٧٤، وحاشية الشهاب٧/ ٣٠٢.
(٩) سورة آل عمران، من الآية ١٣٣

ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾[1]، إيثاراً لـ (في) على (إلى)[2].

وخُرِّج ذلك على الإيذان بأنهم مستقرون في الكفر لا يبرحون، قال الألوسي: «وإيثار كلمة (في) على (إلى) للإيذان بأنهم مستقرون في الكفر لا يبرحون، وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها كإظهار موالاة المشركين وإبراز آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك»[3].

وقال الشوكاني: «وآثر لفظ (في) على (إلى) للدلالة على استقرارهم فيه»[4].

وعلى ذلك فُسِّر قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[5]، فإن إيثار كلمة (في) على (إلى) في هذه الآية «للإيذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات، لا أنهم خارجون عنها متوجهون إليها بطريق المسارعة»[6].

ويظهر لي أن (في) أفادت في الآية الأولى بأنهم لم يكتفوا بالكفر؛ بل توغلوا فيه، فيكون (في) قرينة المجاز،

كقولهم: أسرع الفساد في الشيء، وأسرع الشيب في رأس فلان[7]، «فجعل الكفر بمنزلة الظرف وجعل تخبطهم فيه وشدة ملابستهم إياه بمنزلة جولان الشيء في الظرف جولاناً بنشاط وسرعة»[8].

(١) سورة المائدة، من الآية ٤١

(٢) ينظر الكشاف ٢٩٠، والبحر المحيط ٤/ ٢٦٠، وإرشاد العقل السليم ٣/ ٣٦، وفتح القدير ٣٧٢، وروح المعاني ٦/ ١٣٥.

(٣) روح المعاني ٦/ ١٣٥.

(٤) فتح القدير ٣٧٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآية ٦١.

(٦) روح المعاني ١٨/ ٤٥.

(٧) ينظر الكشاف ٢٩٠، والتحرير والتنوير ٦/ ١٩٨.

(٨) التحرير والتنوير ٦/ ١٩٨.

- وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[1] أوثرت (إلى) على اللام، والعادة جارية بأن يقال: أخبتوا لربهم[2]، وفي ذلك قولان:

القول الأول: أنها بمعنى اللام، أي: (أخبتوا لربهم)[3]؛ لأن العرب تضع (إلى) في موضع اللام كثيراً[4].

القول الثاني: أن المعنى: وجّهوا إخباتهم إلى ربهم واطمأنوا إلى ربهم[5].

ويبدو أن (أخبت إلى) تضمن معنى: اطمأن[6]، فالحرف (إلى) مع امتداد الصوت وتفريغ النَفَس وراحة الصدر يفيد اطمئنان القلب وسكون الأعضاء[7]، وهذا المعنى يتفق مع سياق الآية:(وأخبتوا إلى ربهم) [8].

- وفي قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[9] عُدِّي الفعل (تحسس) بـ (من) دون (عن)[10]، وفي ذلك قولان:

الأول: أن المعنى: (عن يوسف) ولكن نابت عنها (من)[11]، كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون: عنه[12].

---

(١) سورة هود، من الآية ٢٣

(٢) ينظر التفسير البسيط ١١/ ٣٨٧، وزاد المسير ٢/ ٣٦٧ .

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٩، ١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ١٦٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١، وزاد المسير ٢/ ٣٦٧.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٩، ١٠، وزاد المسير ٢/ ٣٦٧.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠،٩، والمحرر الوجيز ٣/ ١٦٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١، وزاد المسير ٢/ ٣٦٧.

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠،٩، والتفسير البسيط ١١/ ٣٨٧، وزاد المسير ٢/ ٣٦٧، والتضمين النحوي في القرآن الكريم ١/ ٧٨.

(٧) ينظر التضمين النحوي في القرآن الكريم ١/ ٧٨.

(٨) سورة هود، من الآية ٢٣.

(٩) سورة يوسف، من الآية ٨٧ .

(١٠) ينظر مفاتيح الغيب١٨/ ٥٠١، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم٣/ ٣٥١.

(١١) ينظر مفاتيح الغيب ١٨/ ٥٠١، ولباب التأويل ٢/ ٥٥١، وزاد المسير ٢/ ٤٦٦، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/ ٣٥١.

(١٢) ينظر زاد المسير ٢/ ٤٦٦.

الثاني: أن (من) أوثرت للتبعيض، والمعنى: فتحسسوا خبراً من أخبار يوسف[1].

ويبدو لي أن الثاني أولى؛ والمعنى: تحسسوا خبراً من أخبار يوسف، واستعملوا بعض أخباره، فأوثرت (مِن) لما فيها من الدلالة على التبعيض[2].

- وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾[3] عدي الفعل (استقيموا) بـ (إلى) دون اللام، وقد اختلف في علة إيثار ذلك:

الأول: أن (إلى) كثيراً ما تعاقب اللام، يقال: ذهبت له وذهبت إليه[4].

الثاني: أن ذلك لتضمين (استقيموا) معنى توجهوا، أي: وجِّهوا استقامتكم إليه[5]، أو ضمن معنى أنيبوا[6].

وأمثل الوجهين عندي هو الوجه الثاني، قال ابن عاشور: «والأحسن أن إيثار (إلى) هنا لتضمين استقيموا معنى توجهوا؛ لأن التوحيد توجه أي صرف الوجه إلى الله دون غيره كما حكي عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[7]، أو ضمن (استقيموا) معنى: أنيبوا، أي: توبوا من الشرك كما دلَّ عليه عطف (واستغفروه)»[8].

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب ١٨/ ٥٠١، ولباب التأويل ٢/ ٥٥١، وزاد المسير ٢/ ٤٦٦، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/ ٣٥١.

(٢) ينظر التفسير البسيط١٢/ ٢٢٤، ومفاتيح الغيب١٨/ ٥٠١.

(٣) سورة فصلت، من الآية ٦

(٤) ينظر مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٤١، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٢٣٨.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٤١، والبحر المحيط ٩/ ٢٨٦، والدر المصون ٩/ ٥٠٨، والتحرير والتنوير ٢٤/ ٢٣٨.

(٦) ينظر التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٣٨.

(٧) سورة الأنعام، الآية ٧٩

(٨) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٣٨.

- وفي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[1] عُدِي (أوحى) باللام لا بـ (إلى)، وإن كان المشهور تعديتها بـ(إلى)[2]، وللعلماء في ذلك أقوال:

الأول: أن اللام بمعنى (إلى)[3]، «وإنما أوثرت على (إلى) لموافقة الفواصل»[4]، والعرب تضع اللام موضع (إلى) كثيراً[5].

الثاني: أن اللام على أصلها، و(أوحى) يتعدى باللام تارة، وبـ(إلى) أخرى[6]، وإنما يتعدى باللام إذا كان بمعنى (أمر)؛ لأن أمْر الله تعالى للأرض قول في المعنى، فكأنه قيل: بأن ربك قال لها: حدثي أخبارك[7].

الثالث: أن اللام على بابها من العلة[8]، والموحى إليه محذوف، وهو الملائكة[9]، والتقدير: «أوحى إلى ملائكته المصرِّفين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال، واللام في (لها) للسبب، أي: من أجلها ومن حيث الأفعال فيها»[10].

ويظهر لي أن أولى هذه الأقوال هو الأول؛ لأن المعروف تعدي الفعل (أوحى) بـ(إلى)، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[11]، ولعل إيثار اللام على (إلى) في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[12]، لمراعاة الفواصل[13].

---

(١) سورة الزلزلة، الآية ٥

(٢) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٥٢٣.

(٣) ينظر المصدر السابق ١٠/ ٥٢٣، والتذييل ١١/ ١٨٢، والدر المصون ١١/ ٧٦، وفتح القدير ١٦٤٥.

(٤) الدر المصون ١١/ ٧٦.

(٥) ينظر جامع البيان ١٥/ ٢٩١، وفتح القدير ١٦٤٥

(٦) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٥٢٣، والدر المصون ١١/ ٧٦.

(٧) ينظر التذييل والتكميل ١١/ ١٨٢، وتمهيد القواعد ٦/ ٢٩٣٢.

(٨) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٥٢٤، والدر المصون ١١/ ٧٦، وفتح القدير ١٦٤٥.

(٩) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٥٢٤، وفتح القدير ١٦٤٥.

(١٠) البحر المحيط ١٠/ ٥٢٤.

(١١) سورة النحل، من الآية ٦٨

(١٢) سورة الزلزلة، الآية ٥

(١٣) ينظر روح المعاني ٣٠/ ٢١٠، والتضمين النحوي في القرآن الكريم ٢/ ٢٨٨.

اسم الفاعل:

- **إيثار (خاطئ) على (مخطئ):**

- قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[1].

ذهب جمع من العلماء إلى أن الخاطئ هو الذي يأتي بالخطيئة عمداً، والمخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره[2]، يقال: خطئ خطأ إذا تعمد، وأخطأ إذا لم يكن عن عمد، ولهذا أوثر (خاطئين) على (مخطئين) في هذه الآية[3]، قال أبو حيان: «وخطابهم إياه بذلك استنزال لإحسانه واعتراف بما صدر منهم في حقه، وخاطئين من خطئ إذا تعمد، ومن أخطأ فقصد الصواب ولم يوفق له»[4].

وقيل: أخطأ وخطئ بمعنى واحد[5]، وإنما أوثر (خاطئين) على (مخطئين) لموافقة رؤوس الآي؛ لأن (خاطئين) أشبه بما قبلها[6].

والذي يظهر أن هناك فرقاً بين (خاطئين)، و(مخطئين)، فالخاطئ هو القاصد الذنب، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[7].

- **إيثار اسم المفعول على فعله:**

- في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾[8] أوثر اسم المفعول على فعله؛ ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ (مجموع) أبلغ

(١) سورة يوسف، من الآية ٩١

(٢) ينظر جمهرة اللغة٢/ ١٠٥٥، ولسان العرب (فصل الخاء المعجمة) ١/ ٦٧، والبحر المحيط٦/ ٣٢١، واللباب في علوم الكتاب ١١/ ٢٠٤.

(٣) ينظر البحر المحيط ٦/ ٣٢١، ومعالم التنزيل٢/ ٥١٢، وحدائق الروح ١٤/ ١٢٣.

(٤) البحر المحيط٦/ ٣٢١.

(٥) ينظر فتح القدير٧١٢.

(٦) ينظر زاد المسير٢/ ٤٦٩ .

(٧) سورة الحاقة، من الآية ٣٧.

(٨) سورة هود، من الآية ١٠٣

من لفظ (يُجمَع)[1]، قال الزمخشري: «فإن قلت: لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه يوم لابد من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه..»[2].

الصفة:

- **إيثار الوصف بـ (أُخَر) دون (أخرى) في قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[3]:**
- في قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ذكر العلماء أن (أُخَر) صفة لـ(أيام)[4]، وصفة الجمع الذي لاَ يعقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة، وأن يعامل جمع الإناث[5]، «وإنما أوثر هنا معاملته معاملة الجمع؛ لأنه لو جيء به مفرداً، فقيل: (عدَّة من أيام أخرى)، لأوهم أنه وصف لـ (عدّة) فيفوت المقصود»[6]. قال ابن عطية: «وجاء في الآية (أُخَر) ولم يجيء (أخرى)؛ لئلا تشكل بأنها صفة لله (عدّة)...»[7].

ومعنى ذلك أنه أوثر (أُخَر) على (أخرى) في هذه الآية؛ لأن (أخرى) «كان يُلْبِس أن يكون صفة لقوله: (عدّة)، فلا يُدرى أهو وصف لـ (عدّة) أم لـ (أيّام)، وذلك لخفاء الإعراب لكونه مقصوراً، بخلاف (أُخَر) فإنه نصٌّ في أنه صفة لـ (أيام) لاختلاف إعرابه مع إعراب (فعِدّة)...»[8].

(١) ينظر الكشاف٤٩٧، والبحر المحيط ٦/ ٢٠٩، والتسهيل في علوم التنزيل ١/ ٣٧٨.

(٢) الكشاف٤٩٧.

(٣) سورة البقرة، من الآية١٨٤

(٤) ينظر آراؤهم في كتبهم على الترتيب: المحرر الوجيز١/ ٢٥٢، وأمالي ابن الحاجب١/ ١١٧، والبحر المحيط٢/ ١٨٥، والدر المصون٢/ ٢٧١، وشرح شذور الذهب١/ ٥٨٩، والمقاصد الشافية٥/ ٥٩٩.

(٥) ينظر أمالي ابن الحاجب١/ ١١٧، والبحر المحيط٢/ ١٨٥، والدر المصون٢/ ٢٧١.

(٦) الدر المصون٢/ ٢٧٢.

(٧) المحرر الوجيز١/ ٢٥٢.

(٨) البحر المحيط٢/ ١٨٥.

- **إيثار الوصف بالمذكر في قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾[1]:**

جاء وصف (السماء) في قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ بصيغة التذكير فقال: (منفطر)، مع أن (السماء) في اللغة من الأسماء المعتبرة مؤنثةً في الشائع[2]، وللعلماء في ذلك أقوال، منها:

الأول: أن (السماء) تذكر وتؤنث، وهي هنا في وجه التذكير[3].

الثاني: أن هذا على النسب، أي: ذات انفطار، كقولهم: (امرأة مرضع) أي: ذات إرضاع، فجرى على طريق النسب[4].

الثالث: أن تأويلها بمعنى السقف، فذكَّر على هذا المعنى[5].

الرابع: أنها اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء فيقال: سماءة، واسم الجنس يذكر ويؤنث[6].

الخامس: أن (منفطر) صفة لخبر محذوف، والتقدير: السماء شيء منفطر[7].

ولعل إيثار التذكير في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفصيح في إجراء (السماء) على التأنيث إلى التذكير[8] «إيثاراً لتخفيف الوصف؛ لأنه لما جيء به بصيغة (منفعل) بحرف زيادة، وهما الميم والنون كانت الكلمة معرّضة للثقل إذا ألحق بها حرف زائد آخر ثالث، وهو هاء التأنيث فيحصل

(١) سورة المزمل، من الآية ١٨.
(٢) ينظر لسان العرب(فصل السين المهملة)١٤/ ٣٩٨، وتاج العروس (سمو)٣٨/ ٣٠١.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩، والدر المصون ١٠/ ٥٢٨، وزاد المسير ٨/ ٣٩٤.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩، والكشاف١١٥٢، والبحر المحيط ١٠/ ٣١٩، والدر المصون ١٠/ ٥٢٨، وزاد المسير ٨/ ٣٩٤.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٩، والكشاف١١٥٢، والبحر المحيط ١٠/ ٣١٩.
(٦) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٣١٩، والدر المصون ١٠/ ٥٢٨.
(٧) ينظر الكشاف١١٥٢، والبحر المحيط ١٠/ ٣١٩ .
(٨) ينظر التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٧٦.

فيها ثقل يجنَّبه الكلام البالغ غاية الفصاحة؛ ألا ترى أنها لم تجرِ على التذكير في قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾[1] إذ ليس في الفعل إلا حرف مزيد واحد، وهو حرف النون؛ إذ لا اعتداد بهمزة الوصل؛ لأنها ساقطة في حالة الوصل، فجاءت بعدها تاء التأنيث»[2].

- **العطف:**

- **إيثار العطف بـ (ثم) دون الفاء:**

- في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[3] أوثر عطف جملة (لا يجاورونك) بـ (ثم) دون الفاء[4]؛ للدلالة على تراخي انتفاء المجاورة عن الإغراء بهم تراخي رتبة[5]؛ لأن الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من جميع ما أصيبوا به[6]، «فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه»[7].

ومعنى ذلك أن (ثم) للتفاوت الرتبي والدلالة على أن ما بعدها أبعد مما قبلها وأعظم وأشد عندهم[8].

(١) سورة الانفطار، الآية ١

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٦٠

(٤) ينظر الكشاف ٨٦٥، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٥، ومدارك التنزيل ٣/ ٤٦، وروح المعاني ١١/ ٢٦٦، والتحرير والتنوير ٢٢/ ١٠٩.

(٥) ينظر روح المعاني ١١/ ٢٦٦، والتحرير والتنوير ٢٢/ ١٠٩، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ١٠٢، ١٠٦.

(٦) ينظر الكشاف ٨٦٥، وروح المعاني ١١/ ٢٦٦.

(٧) الكشاف ٨٦٥.

(٨) ينظر حدائق الروح والريحان ٢٣/ ١٣٩.

ويبدو أنه من المعاني التي استعملت فيها (ثم) كثيراً في القرآن الكريم استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له[1]، كقوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]، فإن الجلاء عن الأوطان ومفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم ما يصيبهم وأشده عندهم في المدينة[3].

- **إيثار العطف بالفعل المضارع دون اسم الفاعل:**

- في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾[4] أوثر العطف بالفعل (يقبضن) على الاسم (قابضات)[5]، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل: (ويقبضن) ولم يقل: (وقابضات) قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارٍ غير أصل بلفظ الفعل على معنى: أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح»[6].

وملخص هذا الكلام أن البسط هو أكثر أحوال الطير عند الطيران، فكأنه هو الثابت، فعبر عنه بالاسم الدال على الثبات، والقبض متجدد، فعبر عنه بالفعل الدال على تجدد قبض الأجنحة خلال الطيران[7].

(١) ينظر شرح الرضي على الكافية ٢/ ٣٤١، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ١٠٢.
(٢) سورة الأحزاب، من الآية ٦٠
(٣) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ١٠٢.
(٤) سورة الملك، من الآية ١٩
(٥) ينظر الكشاف ١١٢٧، وشرح التسهيل ٣/ ٣٨٣، والبحر المحيط ١٠/ ٢٢٧، ٢٢٨، والدر المصون ١٠/ ٣٩١، وإرشاد العقل السليم ٩/ ٨، وفتح القدير ١٥١٣، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩.
(٦) الكشاف ١١٢٧.
(٧) ينظر البحر المحيط ١٠/ ٢٢٨، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩.

قال أبو السعود: «(ويقبضن) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك، وهو السر في إيثار (يقبضن) الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على (قابضات)»[1].

وقيل: إن معنى (ويقبضن) قبضهن لأجنحتهن عند الوقوف من الطيران لا قبضها في حال الطيران[2].

وقال أبو البقاء العكبري: «(ويقبضن) معطوف على اسم الفاعل حملاً على المعنى: أي: يصففن ويقبضن، أي : صافات وقابضات»[3].

ولا حاجة إلى هذا التقدير: يصففن ويقبضن؛ لأن الموضع للاسم فلا نؤوله بالفعل[4].

ويبدو أنه إنما جاز عطف الفعل على الاسم في هذه الآية الكريمة؛ لأن الفعل (يقبضن) مؤول بالاسم، والتقدير: قابضات[5]؛ وإنما كان الموضع للاسم؛ لأن (صافات) في الآية حال، والأصل في الحال أن يكون اسما مفرداً، فـ (يقبضن) مؤول بـ (قابضات)[6].

البدل:

- **إيثار (مَن) بدلاً في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾:**

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[7].

(١) إرشاد العقل السليم٩/ ٨.
(٢) ينظر فتح القدير ١٥١٣
(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ٥١١.
(٤) ينظر اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٥١.
(٥) ينظر شرح التسهيل٣/ ٣٨٣، وتوضيح المقاصد٢/ ١٠٣٤، وتمهيد القواعد ٧/ ٣٥١٦.
(٦) ينظر توضيح المقاصد٢/ ١٠٣٤، وتمهيد القواعد ٧/ ٣٥١٥، ٣٥١٦.
(٧) سورة النحل، الآيات ١٠٤ - ١٠٦.

أجاز العلماء في (مَن) من قوله تعالى: (من كفر بالله) في هذه الآية أوجه:

أحدها: أن تكون (مَن) بدلاً من (الذين لا يؤمنون)، أي: إنما يفتري الكذب مَنْ كفر من بعد إيمانه، واستثنى منهم المكره فلا يدخل تحت حكم الافتراء، ويكون قوله: (وأولئك هم الكاذبون) جملة معترضة بين البدل والمبدل منه[1]، قال الزمخشري: «(من كفر) بدل من (الذين لا يؤمنون بآيات الله) على أن يجعل (وأؤلئك هم الكاذبون) اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه»[2].

الثاني: أن تكون (مَنْ) بدلاً من (الكاذبون)[3]، أي: «وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه»[4].

الثالث: أن تكون بدلاً من (أولئك)[5]، أي: «من كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون»[6].

الرابع: أن تكون منصوبة على الذم[7].

الخامس: أن تكون شرطية مبتدأ، وجوابها مقدر تقديره: من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب؛ لأن جواب (مَنْ شرح) دالٌّ عليه[8].

(١) ينظر الكشاف ٥٨٥، والبحر المحيط ٦/ ٥٩٩، والدر المصون ٧/ ٢٨٨، وفتح القدير ٨٠٣.
(٢) الكشاف ٥٨٥.
(٣) ينظر معاني القرآن وإعرابه٣/ ٢١٩، والكشاف٥٨٥، والبحر المحيط ٦/ ٥٩٩، والدر المصون ٧/ ٢٨٨، وفتح القدير ٨٠٣.
(٤) الكشاف ٥٨٥.
(٥) ينظر الكشاف ٥٨٥، والبحر المحيط ٦/ ٥٩٩، الدر المصون ٧/ ٢٨٨، وفتح القدير ٨٠٣.
(٦) الكشاف ٥٨٥.
(٧) ينظر الكشاف ٥٨٥، والبحر المحيط ٦/ ٥٩٩، والدر المصون ٧/ ٢٨٩، وفتح القدير ٨٠٣.
(٨) ينظر الكشاف ٥٨٥، والبحر المحيط ٦/ ٥٩٩، والدر المصون ٧/ ٢٨٩.

قال الألوسي: «كون (من) شرطية مبتدأ وجه ظاهر السداد إلا أن الذي حمل جار الله على إيثار كون (مَنْ) بدلاً طلب الملاءمة بين أجزاء النظم الكريم، لا أن يكون ابتداء بيان حكم، ولا يخفى ما في العذر من الوهن»[1].

وقد ضعّف أبو حيان الأوجه الثلاثة الأولى بأن «الأول يقتضي أنه لا يفتري الكذب إلا من كفر بالله من بعد إيمانه، والوجود يقتضي أن من يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن، وسواء كان ممن كفر بعد الإيمان أنه كان ممن لا يؤمن قطُّ، بل من لم يؤمن قطُّ هم الأكثرون المفترون الكذب». ثم قال: «وأما الثاني فيؤول المعنى إلى ذلك؛ إذ التقدير: وأولئك: أي: الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه، والذين لا يؤمنون هم المفترون. وأما الثالث فكذلك؛ إذ التقدير: أن المشار إليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه، مخبِر عنهم بأنهم هم الكاذبون»[2].

ولعل أولى الأقوال هو أن تكون (مَن) شرطية مبتدأ والجواب محذوف كما سبق؛ لأن «الذي تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلِّها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الإعراب بل من حيث المعنى»[3].

الممنوع من الصرف:

- **ترْك الصرف في (طُوى):**

- اختلفت القراء في قراءة (طوى) من قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[5]، على قولين:

(١) روح المعاني ١٤/ ٢٣٦.
(٢) البحر المحيط ٦/ ٥٩٩.
(٣) المصدر السابق ٦/ ٥٩٩.
(٤) سورة طه، من الآية ١٢
(٥) سورة النازعات، الآية١٦

الأول: (طُوى) بضم الطاء وترك التنوين[1]، وحجتهم أنهم جعلوه اسم البلدة أو البقعة التي بها الوادي[2]، كما قال حسان رضي الله عنه:

نَصَروا نبيَّهم وشدُّوا أزره بحنينَ يوم تَواكُلِ الأبطالِ[3]

فلم يصرف (حنين)؛ لأنه جعله اسماً للبلدة لا للوادي[4]، فكذلك (طُوى) في قراءة من ترك التنوين[5]، ويجوز أن يكون (طُوى) معدولاً إلى (فُعَل)[6]، «وإن لم يُعرَف اللفظ المعدول عنه، وجعله كعُمَر وزُفَر»[7]. كما يجوز أيضاً أن يكون اسماً أعجميّاً، فمنعه الصرف للعلمية والعجمة[8].

الثاني: (طُوىً) بالتنوين[9]، وحجتهم أنهم جعلوه اسماً للوادي[10]، وجعلوه نكرة[11].

قال مكي القيسي: «والقراءتان حسنتان غير أني أوثر ترك الصرف؛ لأن الحرميين وأبا عمرو عليه..»[12].

(١) هي قراءة الحرميين وأبي عمرو. ينظر الكشف في وجوه القراءات٢/ ٩٦، والبحر المحيط٧/ ٣١٦، والدر المصون٨/ ١٧، وحجة القراءات٤٥١.

(٢) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٦٦، وجامع البيان ١٨/ ٢٨٢، والكشف في وجوه القراءات ٢/ ٩٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٥، والبحر المحيط ٧/ ٣١٦، والدر المصون ٨/ ١٧.

(٣) ديوانه١٧٦، ومعاني القرآن للفراء١/ ٤٢٩، وجامع البيان ١٨/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز٣/ ١٩، والجامع لأحكام القرآن٨/ ١٠٠، والبحر المحيط٥/ ٣٩٢.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء١/ ٤٢٩، وجامع البيان ١٨/ ٢٨٢.

(٥) ينظر جامع البيان ١٨/ ٢٨٢.

(٦) ينظر الكشف في وجوه القراءات ٢/ ٩٦، والبحر المحيط ٧/ ٣١٦، والدر المصون ٨/ ١٧.

(٧) الدر المصون ٨/ ١٧.

(٨) ينظر البحر المحيط ٧/ ٣١٦، والدر المصون ٨/ ١٧.

(٩) هي قراءة الكوفيين وابن عامر. ينظر جامع البيان ١٨/ ٢٨٢، والنشر ٢/ ٣١٩، والبحر المحيط٧/ ٣١٦، والدر المصون ٨/ ١٧.

(١٠) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٦٦، وجامع البيان ١٨/ ٢٨٢، الكشف في وجوه القراءات ٢/ ٩٦، والدر المصون ٨/ ١٧.

(١١) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٥.

(١٢) الكشف في وجوه القراءات ٢/ ٩٦.

وقد ذكر الطبري أن قراءة التنوين أولى بالصواب؛ وعلل ذلك بأنه إن يكن (طوى) اسماً للوادي فحظه التنوين؛ لأنه اسم ذكر لا مؤنث، وأن لام الفعل منه ياء، فزاده ذلك خفة كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾[1]؛ إذ (حنين) اسم وادٍ، والوادي مذكر[2].

إعراب الفعل:

- **رفع الفعل المضارع الواقع بعد فاء السببية المسبوقة بنفي:**

ذكر النحويون أن الفعل المضارع ينصب بـ(أن) المضمرة وجوباً بعد فاء السببية المسبوقة بنفي أو طلب محضين[3].

ومما خَرَج عن هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[4]، إذ لم ينصب الفعل المضارع بأن المضمرة الواقعة بعد فاء السببية المسبوقة بنفي، بل رُفِع بالعطف على (يؤذن)[5].

فرأى الفراء[6]، وابن عطية[7] أنه أوثر الرفع على نصب ما بعد الفاء بـ(أن) مضمرة؛ لتناسب رؤوس الآي، والوجهان جائزان.

قال الفراء: «نويت بالفاء أن يكون نسقاً على ما قبلها، واختير ذلك لأن الآيات بالنون، فلو قيل: (فيعتذروا) لم يوافق الآيات، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾[8]، بالنصب، وكلٌّ صواب»[9].

---

(١) سورة التوبة، من الآية ٢٥

(٢) ينظر جامع البيان١٨/ ٢٨٢.

(٣) ينظر شرح المفصل٤/ ٢٣٨، وشرح شذور الذهب٣٨٧ - ٣٨٩، وشرح التصريح٢/ ٣٧١، ٣٧٥.

(٤) سورة المرسلات، الآية٣٦.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء٣/ ٢٢٦، والمحرر الوجيز٥/ ٤٢٠، والجامع لأحكام القرآن١٩/ ١٦٦، والبحر المحيط١٠/ ٣٧٩.

(٦) ينظر معاني القرآن٣/ ٢٢٦.

(٧) ينظر المحرر الوجيز٥/ ٤٢٠.

(٨) سورة فاطر، من الآية٣٦

(٩) معاني القرآن٣/ ٢٢٦.

وقال ابن عطية: «وقوله: (فيعتذرون) معطوف على (يؤذن)، ولم ينصب في جواب النفي؛ لتشابه رؤوس الآي، والوجهان جائزان»[1].

ومعنى ذلك أنه يجوز في الفعل (يعتذرون) وجهان:

الأول: النصب لوقوعه في جواب النفي، والمعنى: لو أذن لهم لاعتذروا[2].

الثاني: الرفع بالعطف على الفعل (يؤذن)[3]، والمعنى: ليس يؤذن لهم ولا يعتذرون[4]، ولكن أوثر الرفع على نصب ما بعد الفاء بـ(أن)؛ لما فيه من غرض زائد وهو مناسبة رؤوس الآي.

- **إيثار رفع الفعل المضارع المعطوف على جواب الشرط بـ (ثم):**

إذا عطف على جواب الشرط بالواو أو الفاء جاز في المعطوف الجزم على العطف، والرفع على الاستئناف، والنصب بـ(أن) مضمرة[5]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[6]، حيث قرئ (فيغفر) بالأوجه الثلاثة[7].

أما إذا عطف الفعل على جواب الشرط بغير الفاء أو الواو من حروف العطف، فالأصل في المعطوف الجزم، وأما الرفع فعلى الاستئناف[8].

---

(١) المحرر الوجيز٥/ ٤٢٠.

(٢) ينظر علل النحو٤٣١.

(٣) معاني القرآن للفراء٣/ ٢٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠.

(٤) ينظر علل النحو٤٣١.

(٥) ينظر المقاصد الشافية٦/ ١٥٣.

(٦) سورة البقرة، الآية٢٨٤.

(٧) قرأ ابن عامر وعاصم ويزيد ويعقوب وسهل (فيغفرُ) بالرفع، وقرأ باقي السبعة (فيغفرْ) بالجزم. ينظر السبعة١٩٥، والمحرر الوجيز١/ ٣٩٠، والبحر المحيط٢/ ٧٥٢، والنشر٢/ ٢٣٧. وتنظر قراءة النصب – وهي قراءة ابن عباس والأعرج وأبي حيوة – في المحرر الوجيز١/ ٣٩٠، والبحر المحيط٢/ ٧٥٢، والكامل في القراءات العشر٥١٣.

(٨) ينظر المفصل٣٤١، والمقاصد الشافية٦/ ١٥٥، ١٥٦.

ومما خَرَج عن هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[1]، إذ لم يجزم على جواب الشرط (يولوكم)، بل رُفِع على الاستئناف، فقد ذهب جمع من العلماء إلى أن وجه إيثار رفع الفعل المضارع (لا ينصرون)، ولم يجزم على جواب الشرط (يولوكم)؛ لأنه كان يتغير المعنى، وذلك أن الله تعالى أخبر بعدم نصرتهم مطلقاً، سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، فلو عُطِف على جواب الشرط للزم تقييده بمقاتلتهم لنا، وهم غير منصورين مطلقاً[2].

وقيل: إن المعطوف على جواب الشرط لا يجوز جزمه البتة؛ لأن المعطوف على الجواب جواب، وجواب الشرط يقع عقيب المشروط، و(ثم) تقتضي التراخي فكيف يُتصوَّر وقوعه بعد الشرط؟ فلذلك لم يجزم مع (ثم)[3].

ولعل الأول – وهو جواز الجزم - أصح؛ لأن الجزم جاء في القرآن الكريم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[4]، فـ (لا يكونوا) مجزوم بالعطف على (يستبدل) الواقع جواباً للشرط، و(ثم) هنا للتراخي[5]، فأوثر رفع الفعل (لا ينصرون) على جزمه كما سبق؛ لأن النصر منفي عنهم مطلقاً، سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، فلم يكن للتعليق بالشرط وجه، فرُفع بالاستئناف، ويزاد أن الفعل (لا ينصرون) «وقع في آخر الفاصلة التي جرت أخواتها على حرف الواو والنون، فلو أوثر جزم الفعل لأزيلت النون فاختلت الفاصلة»[6].

(١) سورة آل عمران، الآية ١١١.

(٢) ينظر الكشاف١٨٩، والبحر المحيط ٣/ ٣٠٤، والدر المصون ٣/ ٣٥٢، والتحرير والتنوير ٢٦/ ١٣٩، ١٤٠.

(٣) ينظر البحر المحيط ٣/ ٣٠٤، والدر المصون ٣/ ٣٥٢.

(٤) سورة محمد، الآية ٣٨

(٥) ينظر البحر المحيط ٣/ ٣٠٤، والدر المصون ٣/ ٣٥٢.

(٦) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٠.

- **عوامل الجزم:**

- **إيثار (إنْ) على (إذا):**

في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[1] أوثر استعمال (إنْ) التي للشك على (إذا)، والحال يقتضي (إذا) الذي للوجوب[2]، وللعلماء في ذلك أقوال:

الأول: أن يساق القول معهم على حسبانهم وطمعهم، فإنهم كانوا بعدُ غير جازمين بالعجز عن المعارضة؛ لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام.

الثاني: أن يتهكم بهم كما يقول القائل: إنْ غلبتك لم أُبقِ عليك، وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكماً به[3].

قال أبو السعود: «فتدبروا إيثار كلمة (إن) المفيدة للشك على (إذا) مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراةً معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة أو التهكم بهم»[4].

الثالث: أن (إنْ) في الآية بمعنى (إذ)، أي: وإذ كنتم في ريب[5]؛ لأن (إنْ) الشرطية مفيدة للشك، فلا يجوز أن تكون هنا الشرطية؛ لأنه لا شك أنهم كانوا في شك[6].

والذي يبدو أن (إنْ) الشرطية قد يرد بعدها المتيقن قليلاً، لأمور، منها: التوبيخ أو التغليب، ومن ذلك (إنْ) في هذه الآية الكريمة؛ إذ يحتمل أن يكون التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها عن أصلها، ويحتمل أن يكون

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٣

(٢) ينظر الكشاف ٦٠، ٦١، وأنوار التنزيل ١/ ٥٨، والبحر المحيط ١/ ١٧٣، وإرشاد العقل السليم ١/ ٦٧.

(٣) ينظر الكشاف ٦٠، ٦١، ومفاتيح الغيب ٢/ ٣٥٢، وأنوار التنزيل ١/ ٥٨، والبحر المحيط ١/ ١٧٣، وإرشاد العقل السليم ١/ ٦٧.

(٤) إرشاد العقل السليم ١/ ٦٧.

(٥) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٥٢، ٥٣، وتمهيد القواعد ٩/ ٤٤١٨.

(٦) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب ٢/ ٥٣.

لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم، فإنه كان منهم من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً[1].

باب (لو):

- **إيثار الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو):**

- في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2] اختلف العلماء في تحديد جواب (لو)، وذلك على قولين:

القول الأول: أن جواب (لو) هو الجملة الاسمية (لمثوبة من عند الله)[3]، واللام هي الداخلة في جواب (لو)[4].

القول الثاني: أن جواب (لو) محذوف، تقديره: لأثيبوا[5]؛ لأن (لمثوبة من عند الله خير) جملة اسمية، وهي لا تقع جواباً لـ (لو)[6]، فتكون جواب قسم محذوف، أي: والله لمثوبة من عند الله خير[7]، واللام في (لمثوبة) لام الابتداء[8].

والقول الأول اختيار الزمخشري، حيث قال: «أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو) .. لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها ..»[9].

---

(١) ينظر تمهيد القواعد٩/ ٤٤١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٠٣.

(٣) ينظر الكشاف ٩٠، والبحر المحيط ١/ ٥٣٦، والدر المصون ٢/ ٤٩، والتحرير والتنوير ١/ ٦٤٨.

(٤) ينظر البحر المحيط ١/ ٥٣٦، والتحرير والتنوير ١/ ٦٤٨.

(٥) ينظر معاني القرآن للأخفش١/ ١٤٩، والكشاف٩٠، والبحر المحيط ١/ ٥٣٦، والدر المصون٢/ ٤٩، والتحرير والتنوير١/ ٦٤٨، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ٦٥٧.

(٦) ينظر البحر المحيط ١/ ٥٣٦، تمهيد القواعد ٩/ ٤٤٤٩.

(٧) ينظر شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٦٤، وتمهيد القواعد ٩/ ٤٤٤٩، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ٦٤٣.

(٨) ينظر البحر المحيط ١/ ٥٣٦، وتمهيد القواعد ١/ ٢٣٣، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢/ ٦٥٧.

(٩))الكشاف ٩٠.

وخالفه أبو حيان بأنه لم يعهد في كلام العرب وقوع الجملة الابتدائية جواباً لـ (لو)، إنما جاء هذا في المختلف في تخريجه ولا تثبت القواعد الكلية بالمحتمل(١).

ويترجح عندي أن تكون الجملة الاسمية (لمثوبة من عند الله خير) جواب (لو)، فإنها مقترنة باللام التي يكثر اقتران جواب (لو) المثبت بها، ولما كان المقام يقتضي حصول المثوبة وثباتها وثبات الخيرية لها ليحصل مجموع معانٍ أوثرت الجملة الاسمية الدالة على الثبوت(٢).

العدد:

- **إيثار الليالي على الأيام:**
- في قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٣) جرى العدد (عشراً) على التأنيث، مع أن المراد عشرة أيام(٤)، وفي تخريج ذلك أوجه، منها:

الأول: أن المراد عشر ليالٍ مع أيامها(٥)، «وإنما أوثرت الليالي على الأيام في التاريخ، لسبقها»(٦).

الثاني: إنما أنث العشر؛ لأن المراد به المدة، والمعنى: عشر مدد، وتلك المدة كل منها يوم وليلة(٧).

---

(١) ينظر البحر المحيط ١/ ٥٣٦.

(٢) ينظر التحرير والتنوير١/ ٦٤٨.

(٣) سورة البقرة، من الآية٢٣٤.

(٤) ينظر شرح الكتاب٤/ ٤٩٩، ومفاتيح الغيب٦/ ٤٦٦.

(٥) ينظر شرح الكتاب٤/ ٤٩٩، والمحرر الوجيز ١/ ٣١٤، والبحر المحيط ٢/ ٥١٦، ٥١٧، والدر المصون ٢/ ٤٧٩، واللباب في علوم الكتاب ٤/ ١٩١، والتحرير والتنوير٢/ ٤٤٢.

(٦) الدر المصون٢/ ٤٧٩.

(٧) ينظر مفاتيح الغيب٦/ ٤٦٦، والجامع لأحكام القرآن٣/ ١٨٦، والدر المصون٢/ ٤٧٩، واللباب في علوم الكتاب٤/ ١٩١.

الثالث: أن المعدود مذكّر، وهو الأيام، وإنما حذفت التاء؛ لأن المعدود المذكر إذا حُذِف لفظاً جاز في العدد الوجهان: ذكر التاء وحذفها[1]، جاء في الحديث: (ثم أتبعه ستّاً من شوال)[2]، قال الكسائي: «صمنا من الشهر خمساً»[3]، وإذا ذُكِر وجب لحاق التاء في عدده، قالوا: (صمنا خمسة أيام)[4].

ولعل أولى الأقوال هو الثالث، فلا يحتاج إلى تأويل (عشر) بأنها ليالٍ لأجل حذف التاء، ولا إلى تأويلها بالمدد، بل يجوز في المعدود المذكر إذا حذف وجهان: ذكر التاء وحذفها، «فجاء قوله: (عشراً) على أحد الجائزين، وحسنه هنا أنه مقطع كلام فهو شبيه بالفواصل كما حسن قوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾[5] كونه فاصلة، فلذلك اختير مجيء هذا على أحد الجائزين»[6].

جمع التكسير:

- **إيثار (شُهداء) على (أشهاد):**
- في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾[7] أوثر (شهداء) على (أشهاد)[8]، قال ابن مالك:

«ومثل إيثار (قروء) على (أقراء) لخروجه عن القياس إيثار (شهداء) على (أشهاد) في: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾؛ لأن واحد (شهداء) إما (شهيد) وإما (شاهد)، ولكل واحد منهما نصيب في (أفعال) كـ (شريف وأشراف)،

(١) ينظر البحر المحيط٢/ ٥١٧، والدر المصون٢/ ٤٧٩، ٤٨٠، واللباب في علوم الكتاب٤/ ١٩١.
(٢) الحديث في صحيح مسلم رقم٢٠٤، ١١٦٤، ٢/ ٨٢٢.
(٣) ينظر البحر المحيط٢/ ٥١٧، والدر المصون٢/ ٤٧٩، ٤٨٠، واللباب في علوم الكتاب٤/ ١٩١.
(٤) ينظر البحر المحيط٢/ ٥١٧، واللباب في علوم الكتاب٤/ ١٩١.
(٥) سورة طه، من الآية ١٠٣
(٦) البحر المحيط٢/ ٥١٧.
(٧) سورة النور، من الآية ١٣
(٨) ينظر شرح التسهيل٢/ ٣٩٦، ٣٩٧، والتذييل٩/ ٢٨٩، والمقاصد الشافية٦/ ٢٥٠، وتمهيد القواعد٥/ ٢٤١١.

و(صاحب وأصحاب)، فعُدِل (شهيد) عن (أفعال) إلى (فُعَلاء) كما عدل عن (أقراء) إلى (قروء)»[1].

ويبدو لي أنه إن كان للمعدود جمعان – كـ (شهداء) في الآية – أحدهما: جمع قلة، والثاني: جمع كثرة، فالأكثر أن يؤتى بجمع القلة، والإتيان بجمع الكثرة قليل[2]، وإنما أوثر (شهداء) على (أشهاد)؛ لأن (أفعال) جمعٌ للأسماء الثلاثية، كجمل وأجمال، وقُفْل وأقفال[3] وواحد (أشهاد) - كما سبق – (شهيد) أو (شاهد)، وجمع مثلهما على (أفعال) شاذ، لذلك أوثر (شهداء) على (أشهاد)[4].

- **إيثار (حِجج) على (حِجَّات) في قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[5]**
- في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ أوثر (حِجَج) على (حجّات)[6]، إذ كان حقُّ (ثماني) أن يميّز بجمعٍ القلة، ومن جموع القلة جمع التصحيح[7]، قال ابن مالك: «وقد يؤثر ما يماثل (مفاعل) من أمثلة الكثرة على جمع التصحيح دون مجاز يقصد مشاكلته، نحو: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[8]»[9].

ويظهر لي أنه يجوز أن يكون هذا من باب الاتساع، ووقوع أحد الجمعين موقع الآخر على سبيل المجاز[10]؛ إذ كان حقُّ (ثماني) أن يميز بأقل الجمع؛ لأن (ثماني) من أقل العدد[11].

(١) شرح التسهيل ٢/ ٣٩٦، ٣٩٧.
(٢) ينظر المقاصد الشافية ٦/ ٢٤٩، ٢٥٠
(٣) ينظر جامع الدروس العربية ١٩٤.
(٤) ينظر المقاصد الشافية ٦/ ٢٥٠، وتمهيد القواعد ٥/ ٢٤١١.
(٥) سورة القصص، من الآية ٢٧
(٦) ينظر شرح التسهيل ٢/ ٣٩٦، والبحر المحيط ٢/ ٦٥٦، وتمهيد القواعد ٥/ ٢٤١٣.
(٧) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب١/ ٣٢٠، ٣٢١، والهمع ٢/ ٣٤٨.
(٨) سورة القصص، من الآية ٢٧
(٩) شرح التسهيل ٢/ ٣٩٦.
(١٠) ينظر البحر المحيط ٢/ ٦٥٥.
(١١) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب١/ ٣٢٠، ٣٢١، والبحر المحيط٢/ ٦٥٥، والهمع ٢/ ٣٤٨.

- وفي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[1] أوثر (سنابل) على (سنبلات)[2]، قال أبو حيان: جمع التكسير إن كان من باب (مفاعل) «أوثر على جمع التصحيح نحو: ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[3]، ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾[4]..»[5].

وقال أيضاً: «فإن قلت:كيف جاء ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾[6]، وجاء ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[7]؟

فالجواب.. أنه يؤثر جمع التصحيح إذا جاور ما أهمل فيه (مفاعل)، وهذا معطوف على (سبع بقرات)»[8].

ويبدو لي أنه يجوز أن يكون هذا من باب الاتساع، ووقوع أحد الجمعين موقع الآخر على سبيل المجاز؛ إذ كان حقُّ (سبع) أن يميز بأقل الجمع؛ لأن السبع من أقل العدد[9].

- إيثار (قروء) على (أقراء) في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾:

- في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[10] أوثر (قروء) مع وجود (أقراء)[11]، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم جاء المميز

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٦١

(٢) ينظر البحر المحيط ٢/ ٦٥٥، ٦٥٦، والارتشاف ٢/ ٧٤٨، والدر المصون ٢/ ٥٨٠، ٥٨١، وتمهيد القواعد ٥/ ٢٤١٠.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢٦١

(٤) سورة المؤمنون، من الآية ١٧

(٥) الارتشاف ٢/ ٧٤٨.

(٦) سورة يوسف، من الآية٤٣

(٧) سورة البقرة، من الآية ٢٦١

(٨) التذييل والتكميل ٩/ ٢٨٩.

(٩) ينظر البحر المحيط٢/ ٣٠٤.

(١٠) سورة البقرة، من الآية ٢٢٨

(١١) ينظر الكشاف ١٣٢، والمساعد على تسهيل الفوائد ٣/ ٣٩٥، وتمهيد القواعد ٩/ ٤٧٥٤.

على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء؟ قلت: يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية .. ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء، فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل..»[1].

وقيل: وُضِع بمعنى الكثرة؛ لأن كل مطلقة تتربص ثلاثة قروء، فصارت كثيرة بهذا الاعتبار[2].

وذهب بعض العلماء إلى أنه أوثر (قروء) على (أقراء)؛ لأن (قروء) جمع (قَرْء) بفتح القاف، فلو جاء على (أقراء) لجاء على غير القياس؛ لأن أفعالاً لا يطّرد في (فَعْل) بفتح القاف[3].

وأجاز المبرد أن يكون التقدير (ثلاثة من القروء)، فحذف (مِن)، وأجاز: ثلاثة حمير وثلاثة كلاب، أي: ثلاثة من حمير ومن كلاب[4].

وقد ردَّ ابن مالك قول المبرد بأن ذلك لو جاز لم يكن للقصر على جمع القلة معنى؛ لأن كل جمع كثرة صالح لأن يقدر بـ (من)، فكان يقال: ثلاثة فلوس، وثلاث دور، على تقدير: ثلاثة من الفلوس، وثلاث من الدور[5].

والذي يظهر لي أنه أوثر (قروء) على (أقراء) لما يأتي:

- أن ذلك من باب التوسع في وضع جمع الكثرة مكان جمع القلة[6]، قال أبو حيان: «وقد يكثر استعمال أحد الجمعين، فيكون ذلك سبباً للإتيان به في موضع الآخر ويبقى الآخر قريباً من المهمل نحو شسوع..»[7].

(١) الكشاف ١٣٢.
(٢) ينظر البحر المحيط ٢/ ٤٥٦.
(٣) ينظر المصدر السابق ٢/ ٤٥٦، والتذييل ٩/ ٢٨٩، والدر المصون ٢/ ٤٣٩، وتمهيد القواعد ٥/ ٢٤١١.
(٤) ينظر المقتضب٢/ ١٥٨.
(٥) ينظر شرح التسهيل ٢/ ٣٩٧، والمقاصد الشافية ٦/ ٢٥٢، وتمهيد القواعد ٥/ ٢٤١١.
(٦) ينظر الكشاف ١٣٢، والبحر المحيط ٢/ ٤٥٦.
(٧) البحر المحيط ٢/ ٤٥٦.

- أنه استعمل بلفظ الكثرة في هذه الآية الكريمة اتكالاً على وجود القرينة، وهي هنا ثلاثة[1]، «ففُهم من الثلاثة القلة»[2].

التذكير والتأنيث:

خولف أصل التذكير مع المذكر والتأنيث مع المؤنث في مواضع منها:

- **إيثار تذكير (الأنعام) من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾**[3]:

- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أوثر تذكير (الأنعام)[4]، فأعاد الضمير إليها في: (مما في بطونه) بالتذكير، وقد ذكر النحويون وجوهاً:

الأول: أن الأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال: هو الأنعام، وهي الأنعام[5].

الثاني: أن المعنى: مما في بطون ما ذكرنا، فهو عائد على المذكور[6]، قيل: وهذا شائع في القرآن الكريم، مثل

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[7]، أي: هذا الشيء الطالع[8].

(١) ينظر المساعد على تسهيل الفوائد ٣/ ٣٩٥، وتمهيد القواعد ٩/ ٤٧٥٤.
(٢) تمهيد القواعد ٩/ ٤٧٥٤
(٣) سورة النحل، من الآية ٦٦
(٤) ينظر معاني القرآن للفراء١/ ١٢٩، والمحرر الوجيز٣/ ٤٠٥، ومفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣٢، والبحر المحيط٦/ ٥٥٤.
(٥) ينظر معاني القرآن وإعرابه٣/ ٢٠٩، والتفسير البسيط١٣/ ١٠٨، ومفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣٢.
(٦) ينظر المحرر الوجيز٣/ ٤٠٥، ومفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣٢، والبحر المحيط ٦/ ٥٥٤.
(٧) سورة الأنعام، من الآية٧٨
(٨) ينظر مفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣٢، والبحر المحيط٦/ ٥٥٤.

الثالث: أن الضمير عائد على البعض، وهي الإناث؛ لأن الذكور لا ألبان لها، فكأن العبرة في بعض الأنعام[1].

الرابع: أن (النَّعَم والأنعام) شيء واحد، فرجع التذكير إلى معنى النعم؛ إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام[2]، قال الفراء: «وإنما جاز أن تذهب به إلى واحدها؛ لأن الواحد يأتي في المعنى على معنى الجمع...»[3].

ولعل أولى الأقوال هو الأول، فلذلك قال هنا: ﴿فِي بُطُونِهِ﴾[4]، وفي سورة المؤمنون: ﴿فِي بُطُونِهَا﴾[5][6].

- وفي قوله تعالى: ﴿لْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾[7]، ولم يقل: آتتا، فحمل على اللفظ؛ لأن (كلتا) لفظه لفظ مفرد، ولو قيل: آتتا على المعنى لجاز[8].

قال الأخفش: «ولم يقل: (آتتا)؛ لأنه جعل ذلك لقوله: (كلتا) في اللفظ، ولو جعله على معنى قوله:(كلتا) لقال: آتتا»[9].

- وجاء (ينال) في قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾[10] بالياء – كما في الآية – وخُرِّج ذلك على إرادة تذكير الجمع[11]، وقُرِئ

(١) ينظر المحرر الوجيز٣/ ٤٠٥، والبحر المحيط٦/ ٥٥٤.
(٢) ينظر معاني القرآن للفراء١/ ١٢٩، والتفسير البسيط١٣/ ١٠٨.
(٣) معاني القرآن للفراء١/ ١٢٩.
(٤) سورة النحل، الآية ٦٦
(٥) سورة المؤمنون من الآية٢١
(٦) ينظر معاني القرآن وإعرابه٣/ ٢٠٩، والتفسير البسيط١٣/ ١٠٨، ومفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣٢.
(٧) سورة الكهف، من الآية٣٣
(٨) ينظر معاني القرآن للأخفش٢/ ٤٣٠، ومعاني القرآن وإعرابه٣/ ٢٨٥.
(٩) معاني القرآن٢/ ٤٣٠.
(١٠) سورة الحج، من الآية ٣٧
(١١) ينظر معاني القراءات ٢/ ١٨١.

(تنال) بالتاء[1]، وخُرِّج على إرادة تأنيث الجمع[2]، قال الفراء: «ومما آثروا فيه التذكير قوله: (لن ينال الله لحومها)[3]»[4].

والذي يبدو أن تأنيث الجمع تأنيث الاسم لا تأنيث المعنى؛ فتأنيثه غير حقيقي؛ لأنه يصير بمعنى الجماعة، فلذلك إذا أُسنِد إلى الجمع فعلٌ جاز في فعله التذكير والتأنيث - كما سبق - فالتذكير على إرادة الجمع، والتأنيث على إرادة الجماعة[5].

- وفي قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[6] أوثر تذكير (نخل)[7] قال الزمخشري: «وذكَّر صفة (نخل) على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنّث كما قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[8]»[9].

وقال أبو حيان: «والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث، وإنما ذكر هنا لمناسبة الفواصل...»[10].

ومعنى ذلك أن آواخر الآيات في سورة القمر تقتضي التذكير، لقوله: (مستمر، منهمر، منتشر)[11].

---

(١) قرأ الجمهور (ينال) بالياء، وقرأ يعقوب (تنال) بالتاء. ينظر معاني القراءات ٢/ ١٨١، والمبسوط في القراءات العشر ٣٠٧، والتحرير والتنوير ١٧/ ٣٦٩. وهي أيضا - (تنال) - قراءة الأعرج ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدري وغيرهم، في المبسوط في القراءات العشر ٣٠٧.

(٢) ينظر معاني القراءات ٢/ ١٨١.

(٣) سورة الحج، من الآية ٣٧

(٤) معاني القرآن ١/ ٣٧٩.

(٥) ينظر شرح المفصل ٣/ ٣٧٦.

(٦) سورة القمر، من الآية ٢٠.

(٧) ينظر جامع البيان ٢/ ٢١٠، ومفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٠٤، ٣٠٥، والبحر المحيط ١٠/ ٤٢، والدر المصون ١٠/ ٤٢٥، ٤٢٦، وتفسير ابن عثيمين ١/ ٢٧٦.

(٨) سورة الحاقة، من الآية ٧.

(٩) الكشاف ١٠٦٦.

(١٠) البحر المحيط ١٠/ ٤٢.

(١١) ينظر مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٠٤/ ٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٥٨.

وقيل: إن النخل لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع، كالنمل، فيقال: نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات، ونخل باسق وباسقة وباسقات[1]، فإذا قيل: منقعر أو باسق فبالنظر إلى اللفظ[2]، ولو حمل على المعنى لأنث[3].

ويظهر أن اسم الجنس تأنيثه غير حقيقي[4]، فيجوز فيه التذكير على معنى الجنس، ويجوز فيه التأنيث على معنى الجماعة[5]، قال ابن يعيش: «فإذا وصفته جاز في الصفة التذكير على اللفظ؛ لأنه جنس مع الإفراد، والتأنيث على تأويل معنى الجماعة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[6]»[7].

- وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢﴾[8] جاء ضمير (التذكرة) مذكراً، فقال: (ذكره) ولم يقل: (ذكرها)، وللعلماء في ذلك أقوال:

الأول: أن الضمير يعود على القرآن[9]، وتأنيث الضمير في (إنها تذكرة) لتأنيث الخبر[10].

الثاني: أن الضمير يعود على العتاب، وتأنيث الضمير في (إنها تذكرة) لتأنيث الخبر[11].

الثالث: أن التذكرة هي الذكر، فلذلك أتى بالضمير مذكراً[12].

---

(١) ينظر المصدران السابقان.
(٢) ينظر الكشاف١٠٦٦، ومفاتيح الغيب٢٩/ ٣٠٤/ ٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٥٨.
(٣) ينظر الكشاف١٠٦٦، ومفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٠٤، ٣٠٥، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٣٧، والدر المصون ٢/ ٢٠٨.
(٤) ينظر المقاصد الشافية٢/ ٥٩٢، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٦٨.
(٥) ينظر شرح المفصل ٣/ ٣٨٢، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٦٨.
(٦) سورة الحاقة، من الآية ٧
(٧) شرح المفصل ٣/ ٣٨٢.
(٨) سورة عبس، الآيتان١١، ١٢
(٩) ينظر أنوار التنزيل٥/ ٢٨٧، وبحر العلوم٣/ ٥٢٥، وزاد الميسر٨/ ٤١٤، وفتح القدير١٥٨٦.
(١٠) ينظر فتح القدير١٥٨٦.
(١١) ينظر أنوار التنزيل٥/ ٢٨٧.
(١٢) ينظر البحر المحيط١٠/ ٤٠٨، وفتح القدير١٥٨٦.

الرابع: أن المعنى: فمن شاء ذكر هذا الشيء[1].

الخامس: أن الضمير يعود على معنى التذكرة وهو الوعظ والتذكير، لا إلى لفظها[2].

- جاء (تبيض)، و(تسود) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3] بالتاء - كما في الآية

- وخُرِّج ذلك على إرادة تأنيث الجمع[4]، قال الفراء: «ومما آثروا من التأنيث قوله: (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) فآثروا التأنيث»[5]. وقال النحاس: ويجوز: (يبيض) بالياء على تذكير الجمع[6].

- وقرئ (ألا تتخذوا)[7] من قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾[8] بوجهين:

الأول: (ألا تتخذوا) بالتاء على الخطاب[9]، أي: قلنا لهم لا تتخذوا[10].

الثاني: (ألا يتخذوا) بالياء على الغائب[11]؛ لأنه خبرٌ عن بني إسرائيل[12].

---

(١) ينظر جامع البيان١٧/ ٢٤٠، ومفاتيح الغيب٢٠/ ٢٣٢، والجامع لأحكام القرآن١٠/ ١٢٤، والدر المصون٧/ ٢٥٦.

(٢) ينظر الكشاف١١٧٩، والموسوعة القرآنية١١/ ٨٣.

(٣) سورة آل عمران، من الآية ١٠٦.

(٤) ينظر معاني القرآن ١/ ٣٧٩، ومشكل إعراب القرآن١/ ٣٣٧، وشرح المفصل ٣/ ٣٧٦، والجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٦٧.

(٥) معاني القرآن ١/ ٣٧٩.

(٦) ينظر إعراب القرآن ١/ ١٧٤.

(٧) قرأ أبو عمرو وحده بالياء (ألا يتخذوا)، وقرأ الباقون (ألا تتخذوا) بالتاء. ينظر السبعة٣٧٨، ومعاني القراءات٢/ ٨٧.

(٨) سورة الإسراء، من الآية٢

(٩) ينظر جامع البيان١٧/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز٣/ ٤٣٦، ومعالم التنزيل٣/ ١١٢، وإملاء ما منّ به الرحمن٢/ ٨٧، وأضواء البيان٣/ ١١.

(١٠) ينظر معالم التنزيل٣/ ١١٢.

(١١) ينظر جامع البيان١٧/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز٣/ ٤٣٦، ومعالم التنزيل٣/ ١١٢، وإملاء ما منّ به الرحمن٢/ ٨٧، وأضواء البيان٣/ ١١.

(١٢) ينظر جامع البيان١٧/ ٣٥٢، ومعالم التنزيل٣/ ١١٢.

والقراءتان صحيحتا المعنى[1]، مرجعهما إلى شيء واحد، وهو أن التوكل إنما يكون على الله لا غيره[2]، غير أن القراءة الأولى أولى؛ لأنها أشهر في القراءة، قال الطبري عن هاتين القراءتين: «وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أني أوثر القراءة بالتاء؛ لأنها أشهر في القراءة، وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء»[3].

- وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[4] أوثر تأنيث (نخل)[5] قال أبو حيان: «والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث، وإنما .. أنّث في ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ في الحاقة لمناسبة الفواصل»[6].

ومعنى ذلك أن أواخر الآيات في سورة الحاقة تقتضي التأنيث لقوله تعالى: (عاتية، باقية، رابية).

وقيل: إن النخل لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع، كالنمل، فيقال: نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات،

ونخل باسق وباسقة وباسقات[7]، فإذا قيل: منقعر أو باسق فبالنظر إلى اللفظ[8]، ولو حمل على المعنى لأنث[9].

(١) ينظر جامع البيان١٧/ ٣٥٢.
(٢) ينظر أضواء البيان٣/ ١١.
(٣) جامع البيان١٧/ ٣٥٢.
(٤) سورة الحاقة، من الآية ٧
(٥) ينظر جامع البيان ٢/ ٢١٠، والكشاف١٠٦٦، والبحر المحيط١٠/ ٤٢، والدر المصون١٠/ ٤٢٥، ٤٢٦.
(٦) البحر المحيط ١٠/ ٤٢.
(٧) ينظر مفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٠٤/ ٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٥٨.
(٨) ينظر الكشاف ١٠٦٦، ومفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٠٤/ ٣٠٥، واللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٢٥٨.
(٩) ينظر الكشاف ١٠٦٦، ومفاتيح الغيب ٢٩/ ٣٠٤، ٣٠٥، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٣٧، والدر المصون ٢/ ٢٠٨.

- **الإفراد والتثنية والجمع:**

- **إفراد ما حقه التثنية:**

- في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[1] أسند الشقاء إلى آدم عليه السلام بعد اشتراكه مع زوجه في الإخراج من الجنة؛ من حيث كان هو المخاطب أولاً والمقصود بالكلام؛ ولأن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله وفي سعادته سعادتهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة[2].

قال الفراء: «ولم يقل: (فتشقيا)؛ لأن آدم هو المخاطب وفي فعله اكتفاء من فعل المرأة..»[3].

وقال ابن عاشور: «وأسند ترتب الشقاء إلى آدم دون زوجه إيجازاً؛ لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة»[4].

وقيل : أراد بالشقاء التعب في طلب المعيشة، وذلك راجع إلى الرجل دون المرأة[5].

- **إفراد ما حقه الجمع:**

يشترط في الخبر أن يطابق المبتدأ في إفراده وتثنيته وجمعه، وكذا الصفة مع الموصوف، وهكذا كل ما كان حديثاً عن جمع فالأصل فيه أن يكون مجموعاً، وقد ورد مخالفة هذا الأصل في مواضع، ومن ذلك:

- في قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا

(١) سورة طه، من الآية ١١٧

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء٢/ ١٩٣، والكشاف٦٦٨، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٠.

(٣) معاني القرآن ٢/ ١٩٣.

(٤) التحرير والتنوير ١٦/ ٣٢١.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٦٧، والبحر المحيط ٧/ ٣٩٠.

أَشْهَدُ﴾[1] أوثر (أخرى) على (أُخَر)، و(آلهة) جمع[2]، قال الفراء: «وقوله: (آلهة أخرى) ولم يقل: (أُخَر)؛ لأن الآلهة جمع، والجمع يقع عليه التأنيث...»[3].

- وفي قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[4]، أوثر (إماماً) على (أئمة)، فلم يقل: (أئمة) كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[5] قال الفراء: «ولم يقل: أئمة، وهو واحد يجوز في الكلام أن تقول: أصحاب محمد أئمة الناس وإمام الناس،كما قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6] للاثنين»[7]، يعني: أنه من الواحد الذي أريد به الجمع[8].

وقال ابن عاشور: إنه يحتمل أن هذا على التنويع[9]؛ لأن المقصود أن يكون كل واحد منهم إماماً يقتدى به[10].

وقيل هذا من المقلوب: أي: اجعل المتقين لنا إماماً في الخير[11].

والذي يظهر أن (الإمام) مصدر، كالقيام والصيام[12]، يقال: أمَّ إماماً كما يقال: صام صياماً وقام قياماً[13]. - وفي قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

(١) سورة الأنعام، من الآية١٩
(٢) ينظر معاني القرآن للفراء١/ ٣٢٩، وجامع البيان١١/ ٢٩٢.
(٣) معاني القرآن للفراء١/ ٣٢٩.
(٤) سورة الفرقان، من الآية ٧٤
(٥) سورة السجدة، من الآية٢٤
(٦) سورة الشعراء، من الآية ١٦
(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٧٤.
(٨) ينظر مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٠٠، ومعالم التنزيل ٣/ ٤٥٩.
(٩) ينظر التحرير والتنوير ١٩/ ٨٣.
(١٠) ينظر مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٠٠، ومعالم التنزيل ٣/ ٣٥٩، والتحرير والتنوير ١٩/ ٨٣.
(١١) ينظر مشكل تأويل القرآن ١/ ١٢٦، ومعالم التنزيل ٣/ ٤٦٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٣.
(١٢) ينظر معالم التنزيل٣/ ٤٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٣.
(١٣) ينظر معالم التنزيل٣/ ٤٥٩.

أُخْرَىٰ﴾[1]، أوثر (أخرى) على (أُخَر) وهي نعت لـ(مآرب)، والمآرب جمع[2]، مفردها (مأربة)[3]، قال الفراء: «جعل (أخرى) نعتاً للمآرب، وهي جمع. ولو قال: (أُخَر) جاز...»[4].

وقال أبو حيان: «وعامل (المآرب) وإن كانت جمعاً معاملة الواحدة المؤنثة فأتبعها صفتها في قوله: (أخرى) ولم يقل:(أُخَر) رعياً للفواصل، وهو جائز في غير الفواصل وكان أحسن وأجود في الفواصل»[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾[6]، ولم يقل: الأُول ولا الأولين[7].

- **تثنية ما حقه الإفراد:**

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[8]، قال الفراء: المراد جنة واحدة فثنى لرؤوس الآي،

كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[9]، ولكنه ثنى لأجل الفاصلة[10].

وقيل: أريد المثنى حقيقة[11]، فلكل متقٍ جنتان تحفان بقصره كما في قوله

(١) سورة طه، من الآية ١٨

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء٢/ ١٧٧، وجامع البيان١٨/ ٢٧٥، ومعالم التنزيل٣/ ٢٥٩، والبحر المحيط٧/ ٣٢٣.

(٣) ينظر جامع البيان١٨/ ٢٧٥.

(٤) معاني القرآن٢/ ١٧٧.

(٥) البحر المحيط٧/ ٣٢٣.

(٦) سورة طه، الآية٥١

(٧) ينظر معاني القرآن للفراء١/ ٣٢٩، ومعالم التنزيل٢/ ١١٦، ومفاتيح الغيب١٢/ ٤٩٩، والجامع لأحكام القرآن٦/ ٤٠٠.

(٨) سورة الرحمن، الآية٤٦

(٩) سورة النازعات، من الآية ٤١

(١٠) ينظر معاني القرآن٣/ ١١٨، وفتح القدير١٤٣٨، والتحرير والتنوير ٢٧/ ٢٦٥.

(١١) ينظر معاني القرآن للفراء٣/ ١١٨، والتحرير والتنوير٢٧/ ٢٦٥.

تعالى في صفة جنات الدنيا: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾[1][2].

وقال بن عاشور: «وإيثار صيغة التثنية هنا لمراعاة الفواصل السابقة واللاحقة، فقد بنيت قرائن السورة عليها

والقرينة ظاهرة.. وعلى هذا فجميع ما أُجري بصيغة التثنية في شأن الجنتين فمراد به الجمع»[3].

وقد أنكر ابن قتيبة قول الفراء بأنه: «إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز أو حرف، فأما أن يكون الله وعد بجنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي، معاذ الله! وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين، قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[4]، ثم قال: ﴿فِيهِمَا﴾[5][6].

ونقل القرطبي عن أبي جعفر النحاس قوله: «وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله عز وجل»[7].

ولعل الذي يظهر أنهما جنتان حقيقة، ويؤيد ذلك أمور:

- قوله تعالى في وصف هاتين الجنتين: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[8]، وذواتا تثنية ذات على الأصل؛ لأن أصل ذات ذوات[9].

(١) سورة الكهف، من الآية ٣٢
(٢) ينظر التحرير والتنوير٢٧/ ٢٦٥.
(٣) التحرير والتنوير٢٧/ ٢٦٥.
(٤) سورة الرحمن، من الآية٤٨
(٥) سورة الرحمن، من الآية٥٠
(٦) الإتقان في علوم القرآن ٥/ ١٨٠٠. ولم أقف عليه في كتب ابن قتيبة.
(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٧٧. ولم أقف عليه في إعراب القرآن.
(٨) سورة الرحمن، الآية ٤٨
(٩) ينظر المحرر الوجيز٥/ ٢٣٣.

- أن الله تعالى يصفهما بقوله: ﴿فِيهِمَا﴾[1]، ﴿فِيهِمَا﴾[2][3].

- قوله صلى الله عليه وسلم: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما)[4].

- **إيثار الجمع على المفرد:**

لفظ (كل) حكمه الإفراد والتذكير، ومعناها بحسب ما تضاف إليه، فإن قطعت عن الإضافة جاز مراعاة

لفظها، وجاز مراعاة معناها كذلك[5].

ومما ورد في إيثار المعنى على اللفظ قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[6]، قال أبو حيان: «و(قانتون) خبر عن (كل)، وجمع حملاً على المعنى، و(كل) إذا حذف ما تضاف إليه جاز فيها مراعاة المعنى فتجمع، ومراعاة اللفظ فتفرد وإنما حسنت مراعاة الجمع هنا، لأنها فاصلةُ رأسِ آية، ولأن الأكثر في لسانهم أنه إذا قطعت عن الإضافة كان مراعاة المعنى أكثر وأحسن، قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[8]، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[9]، وقد جاء إفراد الخبر كقوله: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾[10]»[11].

(١) سورة الرحمن، من الآية٥٠

(٢) سورة الرحمن، من الآية٥٢

(٣) ينظر فتح القدير١٤٣٨.

(٤) الحديث في مسند البزار٨/ ٨٧، رقم٣٠٨٧.

(٥) ينظر مغني اللبيب٢/ ٢٠٠، وهمع الهوامع٢/ ٤٩٧.

(٦) سورة البقرة، من الآية١١٦.

(٧) سورة الأنفال، من الآية٥٤.

(٨) سورة النمل، من الآية٨٧.

(٩) سورة يس، من الآية٤٠.

(١٠) سورة الإسراء، من الآية٨٤.

(١١) البحر المحيط١/ ٥٨٢.

- قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[1].

قُرِئ قوله تعالى: ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ بوجهين[2]:

أحدهما: (في غيابة الجب) بالإفراد[3].

الثاني: (في غيَابات الجب) بالجمع[4]، وذلك يحتمل:

- أن للجب أقطاراً ونواحي، ويكون فيه غيابات[5]، فجعل كل جزء مما يغيب فيه غيابة[6]، فأوثر الجمع لذلك[7].

- أن يكون أراد بالجبّ الجنس، أي: في بعض غيابات الجب[8].

- أن يجعل الجمع للمبالغة في ماهية الاسم[9].

قال النحاس: «أجاز أبو عبيد التوحيد؛ لأنه على موضع واحد ألقوه فيه فأنكر الجمع لهذا، قال أبو جعفر: هذا تضييق في اللغة، وغيابات على الجمع، ويجوز من جهتين: حكى سيبويه: سير عليه عشيّانات[10] ... والوجه الآخر: أن يكون في الجب غيابات..»[11].

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٠.

(٢) قرأ نافع (غيابات) بالجمع، وقرأ الباقون (غيابة) بالإفراد. ينظر الحجة للقراء السبعة٤/ ٣٩٩، وغيث النفع في القراءات السبع ٣١٨.

(٣) إعراب القرآن للنحاس٢/ ١٩٣، ومعالم التنزيل٢/ ٤٧٨، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٤.

(٤) إعراب القرآن ٢/ ١٩٣، والكشاف٥٠٦، ومعالم التنزيل ٢/ ٤٧٨، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٤، والدر المصون٦/ ٤٤٥، والتفسير الوسيط ٢/ ٦٠٢.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٩٣، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٤، والدر المصون٦/ ٤٤٥، والتفسير الوسيط ٢/ ٦٠٢.

(٦) ينظر إعراب القرآن ٢/ ١٩٣، والبحر المحيط ٦/ ٢٤٤، والدر المصون ٦/ ٤٤٥.

(٧) ينظر التفسير البسيط ١٢/ ٣٢، والتفسير الوسيط ٢/ ٦٠٢.

(٨) ينظر إرشاد العقل السليم ٤/ ٢٥٦.

(٩) ينظر التحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٥.

(١٠) ينظر الكتاب٣/ ٤٨٤.

(١١) إعراب القرآن ٢/ ١٩٣.

- إيثار أحد اللفظين على الآخر:

- إيثار (فُعْلة) على (فَعْلة):

- قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾[1].

في (ربوة) لغات: منها: (رُبْوة) بضم الراء. و(رَبْوة) بفتح الراء، و(رِبوة) بكسر الراء[2]، وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراء[3].

قال أبو جعفر الطبري: «وغير جائز عندي أن يقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين، إما بفتح الراء، وإما بضمها؛ لأن قراءة الناس في أمصارهم بإحداهما، وأنا لقراءتها بضمها أشد إيثاراً مني بفتحها؛ لأنها أشهر اللغتين في العرب..»[4].

ونُقِل عن الأخفش قوله: والذي نختار (رُبْوة) بضم الراء[5].

ولعل مما يقوي هذا الاختيار أنه لا يكاد يُسمَع في جمع (ربوة) إلا (الرُّبا)[6]، وبها – أي (رُبْوة) – قرأ أكثر القراء السبعة[7]، فدل ذلك على أن المفرد (رُبْوة) مضموم الفاء، نحو: (بُرْمة) و(بُرَم)، و(صُورة) و(صُوَر)[8].

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٦٥.

(٢) ينظر الصحاح (ربا)٦/ ٢٣٥٠، ولسان العرب (فصل الراء المهملة) ١٤/ ٣٠٦.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي (رُبوة) بضم الراء، وقرأ عاصم وابن عامر (رَبوة) بفتح الراء. ينظر النشر٢/ ٣٣٢، والحجة في القراءات السبع٥/ ٢٩٦، والحجة للقراء السبعة٢/ ٣٨٥، وقرأ ابن عباس فيما حكي عنه (رِبْوة) بالكسر. ينظر المحرر الوجيز١/ ٣٥٩، والدر المصون٢/ ٥٩٢.

(٤) جامع البيان٥/ ٥٣٦.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب٧/ ٤٩، والبحر المحيط ٢/ ٦٥١، والدر المصون ٢/ ٥٩٢. ولم أقف عليه في معاني القرآن للأخفش.

(٦) ينظر مفاتيح الغيب٧/ ٤٩، والبحر المحيط ٢/ ٦٥١، والدر المصون ٢/ ٥٩٢، واللباب في علوم الكتاب٤/ ٣٩٩.

(٧) ينظر أول المسألة.

(٨) ينظر الدر المصون ٢/ ٥٩٢.

- **إسكان العين من (فُعْلة):**

- قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾[1].

قُرِئ (المَثَلات) بضم الميم وسكون الثاء، فقيل: (المُثْلات)[2]، وذلك يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون أراد: المَثَلات، ثم آثر إسكان الثاء استثقالاً للضمة، ثم نقل الضمة إلى الميم، فقال: المُثْلات، كما قالوا في (عَضُد): عُضْد، وفي عَجُز: عجز[3].

الثاني: أن يكون خفَّف في الواحد فصار: (مَثُلة) إلى (مُثْلة)، ثم جمع على ذلك فقال: (المُثْلات)[4].

ويبدو أن الثاني أولى، فإن «العرب تقول للعقوبة: (مَثُلة)، (ومُثْلة)، فمن قال: (مَثُلة) جمعها على (مَثُلات)، ومن قال: (مُثْلة) جمعها على (مُثُلات، ومُثَلات، ومُثْلات) بإسكان الثاء»[5].

- **إيثار (فَعَل) على (فَعْل):**

- قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[6].

- قُرِئ (رَشَداً) من قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ بوجهين:

(١) سورة الرعد، من الآية٦

(٢) هي قراءة يحيى بن وثاب. ينظر المحتسب١/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٦، والكامل في القراءات العشر٥٧٨.

(٣) ينظر المحتسب١/ ٣٥٤.

(٤) ينظر المصدر السابق١/ ٣٥٤.

(٥) لسان العرب، فصل الميم، ١١/ ٦١٥.

(٦) سورة الكهف، الآية ١٠.

الأول: رَشَداً بفتح الراء والشين[1].

الثاني: (رُشْداً) بضم الراء وإسكان الشين[2].

ولعل الأول أولى، وهو تحريك الحرفين في (رَشَدا)؛ لأن ذلك أنسب بفواصل الآيات قبل وبعد[3]، وهي: ﴿عَجَبًا﴾[4]، ﴿عَدَدًا﴾[5]، ﴿أَمَدًا﴾[6]، قال ابن عاشور: «ووجه إيثار مفتوح الراء في هذه السورة وفي قوله الآتي: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[7] أن تحريك الحرفين فيهما أنسب بالكلمات الواقعة في قرائن الفواصل، ألا ترى أن الجمهور قرؤوا في هذه السورة: ﴿عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[8] بضم الراء؛ لأنه أنسب بالقرائن المجاورة له وهي: ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[9]، ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾[10]، ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[11]...»[12].

- **إسكان الياء من (نُجّي) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[13]:**
- قُرِئ (نُنْجي) من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ بوجهين:

---

(١) هذه قراءة الجمهور. ينظر جامع البيان في القراءات السبع ٣/ ١٣٠٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٧/ ١٤٤.

(٢) وهذه قراءة ابن عامر. ينظر جامع البيان في القراءات السبع ٣/ ١٣٠٣. وهي قراءة أبي رجاء في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٧/ ١٤٤.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٠، والبحر المحيط ٧/ ١٤٤، والدر المصون ٧/ ٤٤٦، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٦٧.

(٤) سورة الكهف، من الآية ٩.

(٥) سورة الكهف، من الآية ١١.

(٦) سورة الكهف، من الآية ١٢.

(٧) سورة الكهف، من الآية ٢٤.

(٨) سورة الكهف، من الآية ٦٦.

(٩) سورة الكهف، من الآية ٦٥.

(١٠) سورة الكهف، من الآية ٦٧.

(١١) سورة الكهف، من الآية ٦٨.

(١٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٦٧.

(١٣) سورة الأنبياء، من الآية ٨٨.

الأول: (نُنْجي) بضم النون الأولى وسكون الثانية[1].

الثاني: (نُجِّي) بضم النون وبتشديد الجيم وسكون الياء[2]، وفي هذه القراءة أوجه:

الوجه الأول: أن (نُجِّي) فعل ماضٍ مبني للمجهول[3]، وإنما سُكِّنت ياؤه «إيثاراً للتخفيف، والقائم مقام الفاعل المصدر أي: نجي النجاء»[4].

الوجه الثاني: أن الأصل (نُنَجِّي) بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم، فاستثقل توالي مثلين، فحذفت الثانية، كما حذفت في قوله تعالى: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾[5][6].

الوجه الثالث: أن الأصل: (نُنْجي) كالقراءة الأولى، إلا أن النون الثانية قلبت جيماً، وأُدغمت في الجيم بعدها[7].

وقد ضعّف أبو البقاء العكبري الوجه الأول بوجهين: **الأول**: تسكين آخر الفعل الماضي. **والثاني**: إقامة المصدر مع وجود المفعول الصريح، وهو (المؤمنين).

كما ضعّف الثاني بوجهين أيضاً: **الأول**: أن النون الثانية أصل، وهي فاء الكلمة فحذفها يبعد جدّاً.

والثاني: أن حركتها غير حركة النون الأولى، فلا يستثقل الجمع بينهما، بخلاف (تظاهرون)، يدل على ذلك أنك لو قلت: (تتحامى المظالم) لم يسغْ حذف التاء الثانية[8].

---

(١) هي قراءة حمزة وباقي السبعة ورويت عن عاصم. ينظر السبعة ٤٣٠.

(٢) رُويت هذه القراءة أيضا عن عاصم. ينظر السبعة ٤٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٩٧، والبحر المحيط ٧/ ٤٦٢، والدر المصون ٨/ ١٩١، والنشر ٢/ ٣٢٤.

(٣) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن ٣٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٣٤، والبحر المحيط ٧/ ٤٦٢، والدر المصون ٨/ ١٩٢.

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ٣٨٢.

(٥) سورة البقرة، من الآية ٨٥.

(٦) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن ٣٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٣٣٥، والدر المصون ٨/ ١٩١ .

(٧) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن ٣٨٢، والبحر المحيط ٧/ ٤٦٢، والدر المصون ٨/ ١٩٣.

(٨) ينظر إملاء ما منّ به الرحمن ٣٨٢، والدر المصون ٨/ ١٩٣.

وضُعِّف الثالث بأن النون لا تقارب الجيم فتدغم فيها[1].

ولعل أمثل الأقوال هو القول الثاني، وأما ما ذكره أبو البقاء العكبري أولاً من كون النون الثانية أصلاً فلا أثر له في منع الحذف؛ يدل على ذلك أن النحويين اختلفوا في (إقامة، واستقامة) أي الألفين المحذوفة؟ مع أن الأولى أصل؛ لأنها عين الكلمة. وأما ما ذكره من اختلاف الحركة فلا أثر له أيضاً؛ لأن الاستثقال باتحاد لفظ الحرفين على أي حركة كانا[2].

- **إيثار (قَدَرْنا) بالتخفيف على (قدَّرْنا) بالتشديد في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾**[3]

- قرئ (قدرَنا) من قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ بوجهين[4]:

الأول: (فقدَرْنا) بالتخفيف من القُدْرة[5]، ويدل عليه قوله تعالى: (فنعم القادرون)[6][7]، والمعنى: فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن الصور والهيئات[8].

(١) ينظر الدر المصون٨/ ١٩٣.

(٢) ينظر المصدر السابق٨/ ١٩٢.

(٣) سورة المرسلات، الآية ٢٣

(٤) قرأ نافع والكسائي (فقدَّرنا) بتشديد الدال، وقرأ الباقون (فقدَرنا) بتخفيفها. ينظر السبعة٣٦٨، ٦٦٦، ورويت قراءة (فقدَّرنا) بالتشديد أيضًا عن علي رضي الله عنه. ينظر البحر المحيط ١٠/ ٣٧٦.

(٥) ينظر جامع البيان ٢٤/ ١٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٠، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٧٢، والبحر المحيط ١٠/ ٣٧٦، والدر المصون ١٠/ ٦٣٥.

(٦) سورة المرسلات، من الآية ٢٣.

(٧) ينظر جامع البيان ٢٤/ ١٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٠، والدر المصون١٠/ ٦٣٥.

(٨) ينظر مفاتيح الغيب٣٠/ ٧٧٢.

الثاني: (فقدَّرنا) بالتشديد من التقدير[1]، والمعنى: فنعم القادرون على تقديره[2]، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[3][4].

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كنت أوثر التخفيف لقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[5]...»[6].

قيل: لو صحّت قراءة التشديد (قدَّرنا)، لوجب أن يقال: فقدرّنا فنعم المقدِّرون[7]. وأجيب بأن العرب قد تجمع بين اللغتين، قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[8][9].

ويبدو لي أنه لا يبعد أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحداً؛ لما يأتي:

الأول: قرئ قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾[10] بالتخفيف والتشديد[11].

الثاني: أن العرب تقول: قَدَر عليه الموت، وقدَّر عليه الموت، وقَدَرَ عليه رزقه وقدَّر، بالتخفيف والتشديد[12].

---

(١) ينظر جامع البيان ٢٤/ ١٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٠، ومفاتيح الغيب٣٠/ ٧٧٢، والبحر المحيط ١٠/ ٣٧٦، والدر المصون١٠/ ٦٣٥.

(٢) ينظر الدر المصون١٠/ ٦٣٥.

(٣) سورة عبس، الآية ١٩.

(٤) ينظر مفاتيح الغيب٣٠/ ٧٧٢، والدر المصون ١٠/ ٦٣٥.

(٥) سورة المرسلات، الآية ٢٣

(٦) جامع البيان٢٤/ ١٣٢.

(٧) ينظر الجامع لأحكام القرآن١٩/ ١٦٠، ومفاتيح الغيب٣٠/ ٧٧٢.

(٨) سورة الطارق، الآية ١٧.

(٩) ينظر معاني القرآن للفراء٣/ ٢٢٣، وجامع البيان ٢٤/ ١٣٢، ١٣٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٦٠، ومفاتيح الغيب٣٠/ ٧٧٢.

(١٠) سورة الواقعة، من الآية ٦٠.

(١١) قرأ ابن كثير (قدَرنا) بتخفيف الدال، وقرأ الباقون (قدَّرنا) بتشديدها. ينظر حجة القراءات٦٩٦، والنشر٢/ ٣٨٣.

(١٢) ينظر معاني القرآن للفراء٣/ ٢٢٣، والجامع لأحكام القرآن١٩/ ١٦٠، ومفاتيح الغيب٣٠/ ٧٧٢.

- وفي قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] قال سيبويه إن (العَمْر) و(العُمْر) بمعنى واحد[2]، فإذا استعمل في القسَم فُتِح أوله لا غير، لا تقول العرب إلا لَعَمْرُك[3]، «وإنما آثروا الفتح في القسَم؛ لأن الفتح أخف عليهم، وهم يكثرون القسَم بـ(لَعَمري)»[4].

- **الوقف:**

- حذف الهاء وصلاً في قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[5]:

أجمع العلماء على إثبات الهاء في (اقتده) وقفاً[6]، واختلفوا في إثباتها وصلاً، وفي ذلك وجهان:

الأول: (فبهداهم اقتدهِ قلْ) بإثبات الهاء وصلاً[7]، إجراء للوصل مجرى الوقف[8].

الثاني: (فبهداهم اقتدِ قل) بحذف الهاء وصلاً[9]، قال الواحدي: «والوجه الإثبات في الوقف والحذف في

الوصل؛ لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء، في أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن، فكما لا تثبت الهمزة في الصلة فكذلك ينبغي أن لا تثبت الهاء...»[10].

(١) سورة الحجر، الآية٧٢.
(٢) ينظر الكتاب١/ ٢١٠.
(٣) ينظر المصدر السابق١/ ٢١٠، ومعاني القرآن وإعرابه٣/ ١٨٣، وشرح الكتاب٢/ ١٠٣، والدر المصون٧/ ١٧٤، والتحرير والتنوير١٤/ ٦٨.
(٤) معاني القرآن وإعرابه٣/ ١٨٣.
(٥) سورة الأنعام، من الآية٩٠.
(٦) ينظر النشر ٢/ ٢٦٠، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٥٧، ومعاني القراءات١/ ٣٧٠.
(٧) هذه قراءة ابن كثير وأهل مكة ونافع وأهل المدينة وأبي عمرو وعاصم. ينظر السبعة ٢٦٢.
(٨) ينظر البحر المحيط ٤/ ٥٧٨.
(٩) هذه قراءة حمزة والكسائي. ينظر السبعة٢٦٢.
(١٠) التفسير البسيط٨/ ٢٦٩.

ولعل الوجه الثاني هو القياس[1]، واستحسن إيثار الوقف – إثبات الهاء وصلاً – موافقة المصحف[2]، فإن الهاء ثابتة في الخط فكرهوا مخالفة الخط في حالتي الوقف والوصل فأثبتوا[3].

- حذف الياء من المنقوص المعرف بـ(أل) في الوقف:

الكثير في لغة العرب أن يوقف على المنقوص المقترن بأل بإثبات الياء في حالي الرفع والجر، فتقول في الوقف: (هذا القاضي)، و(مررت بالداعي)[4].

وقد ورد في القرآن الكريم مخالفة هذا الأصل، فوُقف على المنقوص المقترن بأل بحذف الياء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[5]، حيث قرئ (المهتد) في حال الوقف بدون ياء[6].

وقد استسهل سيبويه حذف الياء في الفواصل والقوافي[7] كقوله تعالى: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[8]، وأجاز غيره حذفها مطلقاً[9]، قال ابن عاشور: «وحذفت ياء (المهتد) في رسم المصحف؛ لأنهم وقفوا عليها بدون ياء على لغة من يقف على الاسم المنقوص غير المنون بحذف الياء، وهي لغة فصيحة غير جارية على القياس ولكنها أوثرت من جهة التخفيف لثقل صيغة اسم الفاعل مع ثقل حرف العلة في آخر الكلمة ورسمت من دون

(١) ينظر البحر المحيط ٤/ ٥٧٨.
(٢) ينظر الكشاف٣٣٦، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٥٧.
(٣) ينظر مفاتيح الغيب ١٣/ ٥٧.
(٤) ينظر شرح المفصل٥/ ٢٢١، ٢٢٢.
(٥) سورة الإسراء، من الآية ٩٧.
(٦) قرأ نافع والبصري في الوصل بإثبات الياء بعد الدال، والباقون بحذفها مطلقاً. ينظر غيث النفع في القراءات السبع٣٦٥.
(٧) ينظر الكتاب٤/ ١٨٥.
(٨) سورة الرعد، من الآية٩.
(٩) ينظر البحر المحيط ٦/ ٣٥٨.

ياء؛ لأن شأن أواخر الكلم أن ترسم بمراعاة الوقف ...»[1].

ووجه الحذف: لما كان التنوين يعاقب الألف واللام وكانت هذه الياء تحذف مع التنوين حسُن أن تحذف مع معاقبه[2]، قال سيبويه: «ومن العرب من يحذف هذا في الوقف شبهوه بما ليس فيه ألف ولام؛ إذ كانت تذهب الياء في الوصل في التنوين لو لم تكن الألف واللام»[3].

الإبدال:

- **إيثار (فَعْلى) الاسم دون الصفة بقلب يائها واواً:**

- قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[4].

إذا كانت (فَعْلى) اسماً لا وصفاً، وكانت لامها ياء قلبت ياؤها واواً[5]، وذلك نحو: (التقوى)، أصله: (تقيا)؛ لأنه من (تقيت) بمعنى: (اتقيت)[6]، ولكن قلبت الياء واوا فرقاً بينه وبين الصفة، نحو: صديا وخزيا[7]، ومثل (التقوى): الشروى، والفتوى، والبقوى[8].

وقد رام بعض النحويين أن يرى في هذا وجهاً من إيثار الاسم دون الصفة، فقال: وإنما أوثر الاسم بهذا الإعلال دون الصفة؛ لأن الواو أثقل من الياء،

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٢١٥.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٨، والبحر المحيط ٦/ ٣٥٨، والدر المصون ٧/ ٢٣.

(٣) الكتاب٤/ ١٨٣.

(٤) سورة التوبة، من الآية ١٠٨.

(٥) ينظر سر صناعة الإعراب١/ ٨٧، وشرح الكافية الشافية٤/ ٢١٢١، وشرح ابن الناظم١/ ٦٠٦، والمقاصد الشافية٩/ ١٨٤، ١٨٥.

(٦) ينظر شرح ابن الناظم ١/ ٦٠٦، وتمهيد القواعد ١٠/ ٥١٣٠.

(٧) ينظر شرح ابن الناظم ١/ ٦٠٦، وتوضيح المقاصد ٣/ ١٥٩٣، وتمهيد القواعد١٠/ ٥١٣٠، وشرح الأشموني ٤/ ١١٢.

(٨) ينظر شرح الكافية الشافية ٤/ ٢١٢١، وشرح ابن الناظم ١/ ٦٠٦، وشرح الأشموني ٤/ ١١٢.

فـأرادوا أن يجعلـوا الأثقـل في الأضعـف[1]؛ إذ الاسـم أخـف مـن الصفـة[2]؛ لأن الصفـة مقاربـة للفعـل[3].

الإعلال:

- **إيثار إعلال اسم المفعول على تصحيحه:**

- في قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[4]، أوثر إعلال اسم المفعول (مرضية) على تصحيحه[5]، ولم يقل: (مرضُوّة) مع كونه من الرضوان[6]، وقد بيّن ابن مالك ذلك بقوله: «فلو كان فعل الفاعل على (فَعِل) كـ (رضي) كان الإعلال أولى باسم المفعول؛ لأن الفعل بحالتيه قد قلبت الواو فيه ياء، وإجراء اسم المفعول عليه في الإعلال أولى من مخالفته»[7].

ولعل مما يزاد على ذلك أنه أوثر قلب الواو ياء في (مرضيَّة)؛ لأنها أخف[8].

الإدغام:

- قُرئ (يَخْطَف) من قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[9] بأوجه، منها: (يَخَطَّف) بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء[10]، فأدغمت التاء في الطاء، والأصل: يَخْتَطِف[11].

(١) ينظر شرح المفصل٥/ ٣٨٥، والمقاصد الشافية ٩/ ١٨٥.
(٢) ينظر شرح المفصل٥/ ٣٨٥، وتوضيح المقاصد ٣/ ١٥٩٣، والمقاصد الشافية ٩/ ١٨٥، وشرح الأشموني ٤/ ١١٢.
(٣) ينظر شرح المفصل٥/ ٣٨٥، والمقاصد الشافية ٩/ ١٨٥.
(٤) سورة الفجر، الآية٢٨.
(٥) ينظر شرح الكافية الشافية ٤/ ٢١٤٥، وشرح ابن الناظم ١/ ٦١٤، وتوضيح المقاصد ٣/ ١٣١٦، وإيجاز التعريف في علم التصريف ١/ ١٥٥.
(٦) ينظر شرح الكافية الشافية ٤/ ٢١٤٥، وتوضيح المقاصد ٣/ ١٣١٦.
(٧) شرح الكافية الشافية ٤/ ٢١٤٥.
(٨) ينظر إعراب ثلاثين سورة ١/ ٨٦.
(٩) سورة البقرة، من الآية ٢٠.
(١٠) هي قراءة محكيَّة عن بعض القراء في المحتسب١/ ٥٩، وهي قراءة الحسن في البحر المحيط١/ ١٤٦.
(١١) ينظر معاني القرآن للأخفش ١/ ٥٥، والمحرر الوجيز ١/ ١٠٣، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم

وقد علل الأخفش وابن جني لذلك، بأن مخرج التاء قريب من مخرج الطاء[1]، وزاد ابن جني بأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، حيث قال: «أصله: يَخْتَطف، فآثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد؛ ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتاً من المهموس، ومتى كان الإدغام يقوي الحرف المدغم حسن ذلك...»[2].

ويبدو لي أنه أوثر إدغام التاء في الطاء هنا؛ لأنهما من مكان واحد من طرف اللسان وأصول الثنايا[3]، وهذا كثير في القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾[4]، والأصل: يتطيروا، فأدغمت التاء في الطاء[5]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[6]، والأصل: المتطوعين[7]، «وليس يمنع الجهرُ إدغام المهموس، ولكن يكون إدغام المهموس أحسن، وإنما لم يمنع الجهر؛ لأن للمهموس حالاً يقارب حال المجهور بسهولة المخرج وقلة الكُلفة في الاعتماد؛ إذ الاعتماد في المجهور أقوى»[8].

- قُرِئ (يصْلِحا) من قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾[9] بأوجه، منها: (يَصَّلحا) بفتح الياء وتشديد الصاد[10]، والأصل:

٤/ ٥٥١ / ٥٥٢.

(١) ينظر معاني القرآن للأخفش ١/ ٥٥، والمحتسب ١/ ٥٩.

(٢) المحتسب ١/ ٥٩.

(٣) ينظر مفاتيح الغيب ١٤/ ٣٤٤.

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٣١.

(٥) ينظر مفاتيح الغيب ١٤/ ٣٤٤.

(٦) سورة التوبة، من الآية٧٩.

(٧) ينظر البحر المحيط ٥/ ٤٦٨.

(٨) شرح المفصل ٥/ ٥٤٧.

(٩) سورة النساء، من الآية ١٢٨

(١٠) هي قراءة عاصم الجحدري. ينظر المحتسب١/ ٢٠١. وفي المحرر الوجيز٢/ ١١٩، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٠٤، هي قراءة عاصم الجحدري، وعثمان البتيّ.

يصْطَلحا، أي: يفتعلا، فأوثر الإدغام، فأبدلت الطاء - المبدلة من تاء الافتعال - صاداً، ثم أدغمت فيها الصاد، فصارت: يصَّلحا[1].

قال ابن جني: «أراد (يصطلحا) أي: يفتعلا، فآثر الإدغام فأبدل الطاء صاداً، ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء فصارت: يصَّلحا...»[2].

وقال أبو البقاء العكبري: أصله: يصْتَلحا، فأبدلت التاء صاداً، وأدغمت فيها الأولى[3]، ويبدو لي أن هذا ليس بجيد؛ لأن تاء الافتعال يجب قلبها طاء مع أربعة أحرف، هي: الصاد والضاد والطاء والظاء[4]، فلا حاجة إلى تقديرها تاء؛ لأنه لو لُفِظ بالفعل مظهراً لم يلفظ فيه بالتاء إلا بياناً لأصله[5].

- **إيثار إدغام تاء الافتعال في الدال:**

- قُرئ (مردفين) من قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[6] بأوجه، منها: (مُرِدِّفين) بكسر الراء وتشديد الدال[7]، و(مُرُدِّفين) بضم الراء وتشديد الدال[8]، والأصل: مُرْتَدِفين، فأوثر إدغام تاء الافتعال في الدال[9]، فأسكنت التاء وأُدغمت في الدال، فالتقى ساكنان، وهما: الراء والدال، فحرّكت الراء بالكسر على الأصل، أو على إتباع الدال، أو بالضم على إتباع الميم.

(١) ينظر الكتاب ٤/ ٤٦٧، والمحتسب ١/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٢/ ١١٩، وشرح المفصل ٥/ ٥٥٤، والدر المصون٤/ ١٠٨، والمقاصد الشافية ٩/ ٣٨١، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٤/ ٥٦٠.

(٢) المحتسب ١/ ٢٠١.

(٣) ينظر نسبته إليه في الدر المصون ٤/ ١٠٨. ولم أقف عليه في كتبه.

(٤) ينظر شرح الكتاب٥/ ٤٤٣، والدر المصون ٤/ ١٠٨.

(٥) ينظر الدر المصون٤/ ١٠٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية ٩

(٧) هذه القراءة مرويَّة عن الخليل بن أحمد. ينظر المحتسب ١/ ٢٧٣.

(٨) هذه القراءة مرويَّة أيضا عن الخليل بن أحمد. ينظر المحتسب ١/ ٢٧٣، والبحر المحيط ٥/ ٢٧٩.

(٩) ينظر الكتاب٤/ ٤٤٤، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٠٣، والمحتسب ١/ ٢٧٣، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٠٥، والدر المصون ٥/ ٥٦٨.

قال ابن جني: «أصله: (مُرْتَدِفين) مفتعلين من الرَّدف، فآثر إدغام التاء في الدال، فأسكنها وأدغمها في الدال، فلما التقى ساكنان – وهما الراء والدال – حرَّك الراء لالتقاء الساكنين، فتارة ضمها إتباعاً لضمة الميم، وأخرى كسرها إتباعاً لكسرة الدال»[1].

ويظهر لي أنه أبدلت التاء دالاً في (مُرْتَدفين) لقرب مخرجها وأُدغِمت في مثلها[2]، «وكان تغيير التاء أولى؛ لأنها مهموسة والدال مجهورة، وتغيير الضعيف إلى القوي أولى»[3].

(١) المحتسب ١/ ٢٧٣.

(٢) ينظر حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٥.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ٤.

المبحث الثاني:

مسوغات إيثار الشيء على غيره.

من خلال تتبُّع ظاهرة إيثار الشيء على غيره في كتب التفسير وإعراب القرآن يتبين أن هناك مسوغات عدَّة، قد يُعمد من أجلها إلى إيثار الشيء على غيره، ولعل أبرز هذه المسوغات ما يأتي:

١- **تناسب الفواصل**: الناظر في بعض الشواهد المذكورة في المبحث الأول يجد أن الشيء قد يؤثر على غيره لتناسب الفواصل، ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾، فقد ذكر الفراء أن (أخرى) نعت لـ (المآرب) وهي جمع، وإنما أوثرت على (أُخَر) رعياً للفواصل[(١)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ فقد ذكر ابن عاشور بأن سبب إسناد الشقاء إلى آدم دون زوجه أن «في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون، مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة، مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة»[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: يقول أبو حيان: إن (النخل) اسم جنس يذكّر ويؤنث، وإنما ذُكِّر في الآية الأولى لمناسبة الفواصل، «وأنّث في ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ في الحاقة لمناسبة الفواصل»[(٣)].

٢- **مراعاة المعنى**: قد يؤثر الشيء على غيره مراعاة للمعنى، ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، إذ لم يجزم (لا ينصرون) على جواب الشرط (يولوكم)، بل رُفِع على الاستئناف،

(١) ينظر ص ٦١، والإحالات المثبتة فيها.

(٢) ينظر ص٦١، والإحالات المثبتة فيها.

(٣) ينظر ص٥٨، والإحالات المثبتة فيها.

فقد ذهب جمع من العلماء إلى أن وجه إيثار رفع الفعل المضارع (لا ينصرون) ولم يجزم على جواب الشرط (يولوكم)؛ لأنه كان يتغير المعنى، وذلك أن الله تعالى أخبر بعدم نصرتهم مطلقاً، سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا، فلو عُطِف على جواب الشرط للزم تقييده بمقاتلتهم لنا، وهم غير منصورين مطلقاً[1].

وقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ حيث أوثر عطف جملة (لا يجاورونك) بـ (ثم) دون الفاء؛ للدلالة على تراخي انتفاء المجاورة عن الإغراء بهم تراخي رتبة؛ لأن الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من جميع ما أصيبوا به، «فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه»[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، فقد أوثرت قراءة النصب على قراءة الرفع في هذه الآية؛ لأن النصب يدل على عموم الخَلْق لله تعالى - إلا ما قام الدليل على أنه ليس بمخلوق كالقرآن الكريم والصفات الكريمة - والرفع لا يدل على ذلك[3].

٣- **إرادة التخفيف**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ فقد قال ابن عاشور: «وحذفت ياء (المهتد) في رسم المصحف؛ لأنهم وقفوا عليها بدون ياء على لغة من يقف على الاسم المنقوص غير المنون بحذف الياء، وهي لغة فصيحة غير جارية على القياس ولكنها أوثرت من جهة التخفيف؛ لثقل صيغة اسم الفاعل مع ثقل حرف العلة في

(١) ينظر ص٤٥، والإحالات المثبتة فيها.
(٢) ينظر ص٣٧، والإحالات المثبتة فيها.
(٣) ينظر ص٢٦، والإحالات المثبتة فيها.

آخر الكلمة، ورسمت من دون ياء؛ لأن شأن أواخر الكلم أن ترسم بمراعاة الوقف...»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، أوثر إعلال اسم المفعول (مرضيّة) على تصحيحه، ولم يقل: (مرضُوّة) مع كونه من الرضوان، وقد بيّن ابن خالويه سبب ذلك؛ بقوله: «والأصل في (مرضيّة): مرضوة، فقلبوا الواو ياء؛ لأنها أخف»[2].

٤- **الإيجاز**: ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾؛ فقد أسند الشقاء إلى آدم عليه السلام بعد اشتراكه مع زوجه في الإخراج من الجنة؛ من حيث كان هو المخاطب أولاً والمقصود بالكلام؛ ولأن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله وفي سعادته سعادتها، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة. قال الزمخشري: «وإنما أسند إليه آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشتراكهما في الخروج؛ لأن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم.. فاختصر الكلام بإسناده إليه..».

وقال ابن عاشور: «وأسند ترتب الشقاء إلى آدم دون زوجه إيجازاً؛ لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة»[3].

(١) ينظر ص٧٢، والإحالات المثبتة فيها.
(٢) ينظر ص٧٤، والإحالات المثبتة فيها.
(٣) ينظر ص٥٩، والإحالات المثبتة فيها.

المبحث الثالث:

موقف النحويين من إيثار الشيء على غيره.

يتضح موقف النحويين من إيثار الشيء على غيره في مطلبين اثنين:

الأول: خلافهم فيما عُدَّ مُؤثَراً على غيره:

حين نُنعم النظر في مسائل هذه الظاهرة نجد أن بعض التوجيهات الإعرابية وقع فيها خلاف بين النحويين، ومن ذلك ما يأتي:

١- إيثار الجملة الاسمية على الفعلية في جواب (لو):

يرى الزمخشري أن الجملة الاسمية أوثرت على الفعلية في جواب (لو) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، وخالفه أبو حيان بأنه لم يعهد في كلام العرب وقوع الجملة الاسمية جواباً لـ (لو)، وأن جواب (لو) محذوف، تقديره: لأثيبوا؛ لأن (لمثوبة من عند الله خير) جملة اسمية، وهي لا تقع جواباً لـ (لو)[1].

٢- إيثار تقديم المفعول الثاني على الأول:

- في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ أوثر تقديم المفعول الثاني على الأول، وهذا خلاف ما يراه بعض العلماء، فقد ذهب إلى أن (مخلفَ) هنا متعدٍ لمفعول واحد، وهو (وعده)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ فأُضيف إليه، ونُصب (رسلَه) بـ (وعده)؛ إذ هو مصدر ينحلُّ بحرف مصدري والفعل، كأنه قال: فلا تحسبنَّ الله مخلف ما وعد رسلَه، و(ما) مصدرية لا بمعنى (الذي)[2].

(١) ينظر ص٤٧، والإحالات المثبتة فيها.

(٢) ينظر ص٢٧، والإحالات المثبتة فيها.

٣- إيثار اللام على (إلى) في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾:

أوثرت اللام على (إلى) في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، وهذا خلاف ما يراه بعض النحويين، فقد ذهب إلى أن اللام على بابها من العلة، والموحى إليه محذوف، وهو الملائكة، والتقدير: «أوحى إلى ملائكته المصرِّفين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال، واللام في (لها) للسبب، أي: من أجلها ومن حيث الأفعال فيها»[(١)].

الثاني: بواعث دفعتهم إلى إيثار الشيء على غيره:

المستقري مسائل هذه الظاهرة في كتب التفسير وإعراب القرآن يجد أن هناك بواعث عدَّة، قد يُركَن من أجلها إلى إيثار الشيء على غيره، ولعل من أبرز هذه البواعث عند النحويين ما يأتي:

١- **تسويغ ما خالف الأصل**: ربما يعمد إلى إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته من أجل تسويغ ما خالف الأصل، وذلك بحملها على وجه مقبول، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، حيث رُفِع الفعل المضارع الواقع بعد فاء السببية المسبوقة بنفي، والأصل النصب، وأجاب الفراء بأنه أوثر الرفع على النصب؛ «لأن الآيات بالنون، فلو قيل: (فيعتذروا) لم يوافق الآيات، وقد قال الله عز وجل: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، بالنصب، وكلٌّ صواب»[(٢)].

٢- **ترجيح أحد الوجهين**: قد يأتي اللفظ على وجهين محتملين، ثم يؤثر أحدهما على الآخر، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقد قرئ (الحمدُ) بالرفع على الابتداء كما في الآية، وبالنصب على أنه مصدر، ثم حذف العامل، والتقدير: أحمد الله حمداً، فإذا قال الرجل: الحمد لله، بالرفع ففيه من المعنى مثل ما في قولك: حمدت الله حمداً، إلا

(١) ينظر ص٣٣، والإحالات المثبتة فيها.

(٢) ينظر ص٤٣، والإحالات المثبتة فيها.

أن الذي يرفع (الحمد) يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق لله، والذي ينصب (الحمد) يخبر أن الحمد منه وحده لله، فكان الرفع أولى من النصب[1].

٣- **التوسُّع في الاستعمال**: ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، فقد ذهب الزمخشري إلى أن سبب إيثار جمع الكثرة (قروء) على جمع القلة (أقراء) أنهم «يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية...»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ أوثر (سنابل) على (سنبلات)، إذ كان حقُّ (سبع) أن يميز بأقل الجمع؛ لأن السبع من أقل العدد، فقد يجوز أن يكون ذلك من باب التوسع في اللغة[3].

(١) ينظر ص٢٠، والإحالات المثبتة فيها.
(٢) ينظر ص٥٢، والإحالات المثبتة فيها.
(٣) ينظر ص٥١، والإحالات المثبتة فيها.

الخاتمة

الحمد لله على أن منّ عليّ بإتمام هذا العمل، مؤملاً أن أكون قد وُفِّقت لتقديم عملٍ علمي يُنتفَع به، ويُكتَب له القبول.

وشأن هذا العمل شأن أيِّ جهد يبذله الإنسان؛ فيه من الهفوات والعثرات ما لا أقدر على تبرئة ساحته منها.

ولعله من المناسب هنا ذكرُ بعض الأمور التي استخلصتها من هذا العمل، ومنها:

١- من مظاهر التصرف في العربية أن يُؤثَر الشيء على غيره، وقد أشار النحويون إلى هذا المظهر، ودرج في كثير من مسائلهم، وأفاد منه المفسرون والمعربون في توجيه القرآن الكريم وقراءاته.

٢- تناول البحث مظاهر إيثار الشيء على غيره في القرآن الكريم وقراءاته، وأشار إلى مصطلحاته المتعددة.

٣- أنّ أكثر ما يؤثر الشيء على غيره عند تسويغ ما جاء على خلاف الأصل.

٤- أنّ من الموضوعات التي خولف فيها الأصل من أجل الإيثار: حروف الجر، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، ويندرج تحتها عددٌ من المسائل الفرعية.

٥- أنّ لإيثار الشيء على غيره مسوغات مختلفة، منها: تناسب الفواصل، ومراعاة المعنى.

٦- قد يجتمع في المسألة الواحدة أكثر من مسوغ، كمراعاة المعنى مع تناسب اللفظ.

٧- أن بعض ما حُمِل على الإيثار يستقيم على قول من الأقوال التي قيلت في الآية.

٨- أن إيثار الشيء على غيره من الجوانب المهمة التي استُند عليها في توجيه الأقوال الإعرابية والقراءات القرآنية، وهي اجتهادات محتملة غير محتّمة، وبعضها مما وقع فيه الخلاف بين النحويين، وقد أشرت إلى ذلك في المبحث الثالث.

٩- من المواطن التي يُركَن فيها إلى إيثار الشيء على غيره: تقرير الأحكام، وبيان الأغراض، وأساليب الحوار.

وأشكر في الختام كلّ من قدم لي عوناً، أو أسدى إليَّ نصحاً، سائلاً الله – عزَّ وجلَّ – أن يجزيه خير الجزاء، كما أسأله تعالى أن يغفر لي ولوالديّ، وأن يجعل فيما عملت نفعاً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**
- **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- **إعراب القراءات الشواذ، للعكبري**، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **إعراب القرآن**، للنحاس، وضع حواشيه وعلّق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- **ألفية ابن مالك**، لابن مالك الطائي الجياني، دار التعاون.
- **أمالي ابن الحاجب**، لابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الناشر: دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، للعكبري، راجعه وعلّق عليه/ نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ.

- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين**، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق ودراسة: د.جودة مبروك محمد مبروك، راجعه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **إيجاز التعريف في علم التصريف**، لابن مالك، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- **البحر الزخار المعروف بمسند البزار**، لأحمد العتكي، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨هـ/ ٢٠٠٩م.
- **بحر العلوم**، للسمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق أ.د. حسن هنداوي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١.
- **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جزي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ه.

- **التعليقة على كتاب سيبويه**، لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- **التضمين النحوي في القرآن الكريم**، لمحمد نديم فاضل، دار الزمان، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- **التفسير البسيط**، للواحدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- **تفسير التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر عاشور، الدار التونسية، تونس.
- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد الأمين الشافعي**، إشراف ومراجعة د. هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، للفخر الرازي، إشراف مكتبة التوثيق والدراسات في دار الفكر.
- **التفسير الوسيط**، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م/ ١٩٩٨م.
- **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد**، لناظر الجيش، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، وآخرين، دار السلام، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- **توجيه اللمع**، لابن الخباز، دراسة وتحقيق: أ.د.فايز زكي محمد دياب، دار السلام، مصر، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، للمرادي، تحقيق أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، للطبري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- **جامع البيان في القراءات السبع**، لعثمان بن سعيد الداني، الناشر: جامعة الشارقة- الإمارات، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- **جامع الدروس العربية**، لمصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- **الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ.
- **جمهرة اللغة**، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- **الجنى الداني في حروف المعاني**، للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت.
- **حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق د.عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- **الحجة في القراءات السبع**، للحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
- **حجة القراءات**، لابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- **الحجة للقراء السبعة**، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه: عبدالعزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق / بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- **خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها؟**، لمحمد نعمان الدين الندوي، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **السبعة في القراءات**، لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- **سر صناعة الإعراب**، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، لبدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- **شرح أبيات سيبويه**، للسيرافي، تحقيق د.محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة، مصر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث.
- **شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لابن مالك الأندلسي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .
- **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، لخالد الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، لابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.
- **شرح كافية ابن الحاجب**، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **شرح الكافية الشافية**، لابن مالك، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط١.
- **شرح الكتاب**، للسيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- **شرح المفصل لابن يعيش الموصلي**، قدّم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **علل النحو**، لابن الوراق، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **غيث النفع في القراءات السبع**، للصفاقسي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع الشافعي الحفيان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط٤، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، للحسين بن عبد الله الطيبي، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

- **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**، لأبي القاسم الهذلي اليشكري المغربي، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **الكتاب**، لسيبويه، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.
- **الكشاف**، للزمخشري، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، لمكي القيسي، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة.
- **اللباب في علل البناء والإعراب**، للعكبري، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- **اللباب في علوم الكتاب**، لابن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- **المبسوط في القراءات العشر**، لأحمد بن الحسين النيسابوري، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية، دمشق،١٩٨١م.
- **محاسن التأويل**، للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، لابن جني، الناشر: وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **المحرر الوجيز**، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ٢٠١١م.
- **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، للنسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.
- **المساعد على تسهيل الفوائد**، لابن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى، (دار الفكر، دمشق، دار المدني، جدة)، ط١، ١٤٠٠هـ.
- **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- **مشكل إعراب القرآن**، لمكي القيسي، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- **المفصل في صنعة الإعراب**، للزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**، للشاطبي، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا، الدكتور عبد المجيد قطامش، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **معاني القراءات**، للأزهري، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب في جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- **معاني القرآن**، لأبي الحسن الأخفش، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- **معاني القرآن للفراء**، تحقيق ومراجعة أ. محمد علي النجار، دار الكتب والوثائق القومية، بالقاهرة، ط٣، ١٤٢٢ه/ ٢٠٠٢م.
- **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **المعجم الوسيط**، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القاهر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- **المقتضب**، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية.
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، للسيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.